دراسة الأصول الأرثوذكسية الآبائية لكتابات الأب متى المسكين

الكتاب الثاني:

الكنيسة عروس المسيح

طبيعة إنسانية متحدة بطبيعة إلهية

دير القديس أنبا مقار

الكتاب الثاني: الكنيسة عروس المسيح، طبيعة إنسانية متحدة بطبيعة إلهية.
من سلسلة: دراسة الأصول الأرثوذكسية الآبائية لكتابات الأب متى المسكين
إعـداد: أحد رهبان دير القديس أنبا مقار بالتعاون مع بعض العلمـاء اللاهوتيين الأكاديميين المتخصصين في آباء الكنيسة واللاهوت القبطي الأرثوذكسي.

الطبعة الأولى: 2003م.
الناشر: دير القديس أنبا مقار
مطبعة دير القديس أنبا مقار
ص. ب. 2780 القاهرة
رقم الإيداع في دار الكتب المصرية: 2003/17599
رقم الإيداع الدولي: 977-240-201-7

المحتويات

الكنيسة: الموضوع الحاضر – الغائب

لـم يسـلم لنا الآباء كتاباً محدداً عن طبيعة الكنيسة لأن أساس نظرتهم للكنيسـة كان هو سر التجسد. فنحن في الأرثوذكسية نحيا الحياة المسيحية كنسـياً، أي من خلال وجودنا الخاص في الكنيسة، وهو وجود يعلو على الوجـود البيولوجي والطبيعي الذي نأخذه من الوالدين. الإنسان "الكنائسي" هـو إنسـان مولـود من فوق، والولادة من فوق تتم في الزمان، أي يوم المعموديـة، لأنهـا حميم الميلاد الجديد حسب تسليم طقس المعمودية في كنيستنا الأرثوذكسية.

والمـيلاد مـن جديد، حسب الآباء وحسب كل صلوات المعمودية في الكنائس الأرثوذكسية، ليس ميلاداً من طبيعة ميتة مثل ميلادنا البيولوجي، ولا من طبيعة أرضية، لأن حتى المياه التي في جرن المعمودية لا تصبح مـياه حية من ذاتها وحدها **بل بواسطة الروح القدس**. ولذلك، بعد خدمة السـر، يطلب الكاهن أن تعود المياه إلى طبعها الأول[1]. هكذا نحن ندخل حـياة جديـدة كأفـراد، ونتحول بقوة السر إلى أعضاء من جسد المسيح الواحد.

وبـناءً علـى هـذه الحقيقة الروحية، فلابد أن نوضح للقارئ حقيقتين

---

(1) حسـب التعبـير العربي"**تسريح المياه**"، وحسب التعبير القبطي ردها إلى ما كانت عليه، أي عودتها إلى الطبيعة الأولى المخلوقة من العدم.

يعقبهما تحذيران:

الحقيقة الأولى والتحذير الأول، هو ألا ننسى أن الذي يضمنا إلى الكنيسة هو **الروح القدس،** وذلك حسب التعليم الرسولي: «لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا **إلى جسد واحد...** وجميعنا سُقينا روحاً واحداً» (1كو 13:12). **فالذي يجمع** الذين نالوا الميلاد الجديد هو **المسيح** الذي غَرَسَنا في جسده بالروح القدس، أي ذات الجسد الذي وُلد من العذراء، ومُسح في الأردن، ومات على الصليب وقام حيا في اليوم الثالث، ثم صعد إلى السموات. وفي كل مرحلة من مراحل تأسيس الخلاص هذه نالت الطبيعة الإنسانية المتحدة بلاهوت الكلمة تقدماً نحو الكمال، أي **كمالها هي في المسيح،** وهو تعبير لا يجب أن يخيف المولود من فوق. أما الذي لا زال تحت سيادة الميلاد البيولوجي فسوف يتمنع ربما عن صغر نفس أو استكثار لنعمة المسيح عليه، هذا إن كان صاحب نية طيبة بسيطة؛ أما إن كان محبا للخصام (1كو 16:11) فسوف يجد في هذا التعبير ما يفتح له باب الجدل، لأن مُحبي الجدل «يسلكون حسب الإنسان الطبيعي الذي يجهل أسرار الله» (1كو 14:2).

وهنا نزيد هذه الحقيقة الأولى توضيحاً:

في **ميلاد الرب** كانت **البداية،**

وفي **المسحة** أخذنا في المسيح **نعمة التقديس،**

وفي الصليب أخذنا **الانتصار على الموت وتحرر الطبيعة من سلطان الخطية وكل آثارها،**

وفي القيامة أخذنا **الحياة الأبدية بلا فساد،**

وفي الصعود أخذنا **الجلوس معه في السماء إلى الأبد**.

هـذه كلهـا هـي أساسـات السـرائر الكنسية: المعمودية، الميرون، الإفخارستيا، أي الأسرار التي تُعطَى للكل. (أما باقي الأسرار فهي تُعطَى لمـن يـنال دعوة مثل الكهنوت، أو يحتاج إلى الشفاء بالتوبة والاعتراف ومسحة المرضى، أو يسلك طريق الزيجة المقدس).

الحقيقة الثانية والتحذير الثاني:

لـيس للرب يسوع إلا **جسد واحد،** وهو حسب التعبير الرسولي: «لأنه كما أن **الجسـد هو واحد** وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد، كذلك المسيح أيضاً» (1كو 12:12) و«**جسد واحد وروح واحد** كما دُعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد» (أف 4:4). والجسد الواحد يُعني **الإنسان الواحد.** والرسول لا يقف عند تعبير الإنسان الواحد، بل **الإنسان الواحد الجديد أي يسوع المسيح.**

وهنا بالذات علينا أن نلاحظ كلمات الرسول:

1. خَلَقَ الرب في نفسه الإنسان الواحد الجديد،
2. جَمَـعَ الـيهود والأمم في جسد واحد، مُصالحاً الاثنين مع ا بالموت على الصليب،
3. قتل العداوة.

وهكذا أعَدْنا صياغة كلمات الرسول في أفسس (2: 15-16).

والإنسـان الواحد الجديد ليس مثل الإنسان الواحد القديم آدم. وهذه هي

الفروق:

المسيح	آدم
(1) بـبر واحـدٍ صارت الهبة إلى جميع الناس.	(1) بإنسان واحد دخلت الخطية.
(2) بـالواحد فيض النعمة وعطية البر.	(2) بالخطية الموت.
(3) بـبر الواحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة.	(3) بخطية الواحد مات كثيرون.
(4) بإطاعـة الواحد جُعل الكثيرون أبراراً.	(4) بمعصـية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطاة.

(رو 5:12-19)

المسيح	آدم
بإنسان أيضاً قيامة الأموات. في المسيح سيُحيا الجميع.	الموت بإنسان. في آدم يموت الجميع.
يُقام في عدم فساد. يُقام في مجد. يُقام في قوة.	يُزرع في فساد. يُزرع في هوان. يُزرع في ضعف.

يُزرع جسماً حيوانياً.	يُقام جسماً روحانياً.
صار الإنسان الأول نفساً حية. الإنسان الأول من الأرض ترابي.	آدم الأخير روحاً مُحيياً. الإنسان الثاني الرب من السماء.
كما لَبِسْنا صورة الترابي.	هكذا سنلبس صورة السمائي.

(1كو 15: 21-48)

كانـت رسـالة الأب متى المسكين منذ أول كتاب كتبه هي العودة إلى التعلـيم الرسـولي المسلم للقديسين، سواء في الأسفار المقدسة أو في كـتابات آباء الكنيسة، وذلك عن الخليقة الجديدة، وهذا ما نجده في كتاب "**الخلـيقة الجديدة**"، وكتاب "**العريس**"، وكتاب "**الباراكليت، الروح القدس فـي حياة الناس**"، وكتاب "**أعياد الظهور الإلهي**"، وفي ذلك الزخم الكبير الهائل من تفاسير العهد الجديد الذي يكاد يغطي كل أسفار العهد الجديد.

وهكذا نحن نجد أنفسنا هنا أمام طريقين:

1. **إمـا الطريق الرسولي والآبائي الثابت** في صلواتنا واعترافنا بالإيمان فـي كل الخدمات الكنسية وممارسة السرائر، وكتابات الآباء. **وهو ما جاهد الأب متى المسكين في إبرازه؛**
2. **أو الطـريق الثاني وهو لاهوت أدبي** يرى في المسيحية دعوة أخلاقية تقـوم فيها الإرادة الإنسانية بكل شيء ولا تأخذ شيئاً من ا . وهو في النهاية لا يختلف عن اليهودية أو أي دين آخر.

الطـريق الأول يضـع نعمـة ا في قلب كل خطاب ومقالة وصلاة.

والنعمة لها أسماء كثيرة فهي مثلاً: التبني، الحياة الأبدية، الميلاد من فوق، الشـركة فـي الطبـيعة الإلهية، حلول الروح القدس وسُكناه فينا، الخلقة الجديدة، الميلاد من فوق، مسحة الروح القدس، سُكنى المسيح فينا... إلخ. ولـم نرتـب هذه الأسماء، كما أننا لم نحصرها كلها، ولكنها ليست غريبة على القارئ الذي يحضر صلوات الكنيسة ويتشبع بروح الإنجيل.

الطـريق الثانـي وُلـد من خلال إنكار كل ما يمكن أن يوصف باسم "الشـركة فـي الطبيعة الإلهية". وأذكر أنه في خلال احتدام النقاش حول المواهـب وأقنوم الروح القدس، كنا مع واحد من عمالقة هذا الجيل (رقد فـي الـرب بعـد خدمـة جليلة)، وقال بصوته الوديع: «**إن غاية الحياة المسـيحية هـي أن نحـب مثل ا** ، وهذا مستحيل على الإرادة الإنسانية بالمـرة. ولكـن الرسول بولس قال: «**إن محبة ا قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطَى لنا**» (رو 5:5). وأضاف الأب الفاضل: "أنا بَحِب ربنا بقوة ربنا، والمحبة ليست موهبة, لأن الإنجيلي قال: «ا محبة» (1يو 7:4). لذلـك أرجوكم أن لا تجادلوا في هذا الأمر لأنه يشوش شركتنا في ا " (انتهى كلام الأب المبارك - نيح ا نفسه).

وهذه هي سلسلة تطور فكر الطريق الثاني:

✦ إنكـار حلـول الروح القدس فينا باسم التمييز بين مواهب الروح القدس والأقنوم.

✦ إنكـار شركتنا في طبيعة الثالوث رغم نص الرسول بطرس (2بط 4:1)، أو تحليل الكلام الرسولي وشرحه بأننا شركاء في العمل، ولكن أي عمل، وأية شركة؟ وكيف نشترك في أعمال ا بدون نعمة ا ؟ هذا

مستحيل.

✦ إنكـار شـمولية الفـداء على الصليب والوقوع في فخ تعليم "جون كالفِـن" مؤسس حركة الإصلاح البروتستانتي في القرن السادس عشر، الـذي يقـول فيه إن ليس كل الخطاة افتُدوا على الصليب، فالمسيح لم يمُـتْ من أجل فداء كل الناس بل فقط من أجل الذين سيخلصون وهم **المعيـنون سـابقاً للخـلاص** **Predestined** بطريقة إلهية سريةٍ **Secret**. ويسمى هذا التعليم عنده: **الفداء المحدود** **Limited Atonement**[(2)].

✦ إنكـار فاعلـية وحقيقة شركتنا في المسيح في المعمودية والميرون والإفخارسـتيا، أو القول بأننا نأخذ طبيعة المسيح الإنسانية فقط في سر الإفخارستيا، أما المعمودية فقد وُصفت بأنها "بَرَكة".

✦ وصـف الشـركة في الطبيعة الإلهية بأنها المذهب الفلسفي القديم: "وحـدة الوجـود".ويفسـرون هذا القول الآبائي بأن: "نعمة التأليه في المسيح" تعني عدم الإيمان بإله واحد، وتعدد الآلهة. وكأن الآباء العظام مـثل القديسين أثناسيوس وذهبي الفم وكيرلس عمود الدين، وآباء آسيا

---

(2) يشرح أحد العلماء البروتستانت هذا التعليم هكذا:

"for Calvin, all for whom Christ died are saved, and not all men are saved, it follows that Christ did not die for all men."

وترجمـتها: "عـند كالفـن، كل الذين مات المسيح من أجلهم (وهم السابق تعيينهم للخـلاص مـن قِبَل ا) قد خلصوا. وليس كل الناس خلصوا، مما يتبع أن المسيح لم يمُت من أجل كل الناس". عن:

(J. I. Packer 'What did the Cross Achieve?' *Tyndale Bulletin*, 1974, p. 37)

الصغرى، بل حتى أغسطينوس (الذي له مدخل خاص للشركة في الطبيعة الإلهية) - كانوا ساهين وغير مُدركين ذلك. وهذا التعليم ضد الشركة في الطبيعة الإلهية لا يعرفه الآباء الذين قالوا كلهم دون استثناء بـ"الشركة في طبيعة اللاهوت" واستخدموا فعل "يتأله"، و"يؤله". وقد رد على هؤلاء **القديس كيرلس الكبير في القرن الخامس**. فقد كان البطريرك نسطور بطريرك القسطنطينية مبتدع النسطورية في القرن الخامس هو أيضاً يستهزئ من عقيدة "الثيئوسيس" أو "التأليه" أو "الشركة في الطبيعة الإلهية"، ويُسميها "أبوثيئوسيس **apotheosis**" أي "التأليه" بالمعنى الوثني السيئ أي تأليه الإمبراطور، الذي يحمل معنى الكبرياء والتسلط والطغيان والانتقام من الأعداء والتنكيل بهم... إلخ، كما هو معروف عن الأباطرة الطغاة قديماً وحديثاً. وكان القديس كيرلس الكبير يقول للبطريرك نسطور:

[لماذا تستهزئ من جمال الحق وتدعو "**الثيئوسيس**" الذي يُطلق على الجسد المقدس (الإفخارستيا) "**أبوثيئوسيس**"، وهذا ليس سوى شتيمة منك ضد الذين اختاروا أن يتمسكوا بالأسلوب الأرثوذكسي في الاعتراف بهذا (فاعلية سر الإفخارستيا).][3]

والعجيب في الأمر أن البطريرك نسطور كان يُسمي تعاليم القديس كيرلس الكبير عن "الاتحاد بجسد المسيح" و"التأليه" بأنها **"تعاليم جديدة"** **novel doctrines**!

---

(3) ضد نسطور 2: 8 - **ACO, I,1,6, p. 46,35-7.**

ما هي الحقيقة الكامنة وراء هذا الإنكار؟

أمامنا عدة حقائق بارزة لا يمكن تجاهلها وهي كلها تدور حول: **مكانة الإنسان في يسوع المسيح ربنا،** والمجد الذي أُعطي لنا فيه بسبب تجسده وموته المحيي وقيامته وصعوده وانسكاب الروح القدس. لقد نزل الابن من السـماء حسب اعترافنا في قانون الإيمان، أي صار كواحد منا، أو صار الـبكر بين إخوة كثيرين، وهو ما تحرص الليتورجية على تكراره بكلمات أخـرى: "لا مـلاك ولا رئيس ملائكة ... ائْتَمَنْته على خلاصنا، بل أنت بغـير اسـتحالة تجسدتَ وتأنستَ وشابهتـَنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها" (صلاة الصلح - القداس الغريغوري). ولأن لدينا إيمان بالتجسد، فنحـن نقـول: نعـم، صار مثلنا ونزل إلينا لكي يرفعنا فيه وبه إلى ذات المكانة.

الفرق بين المساواة والمِثْل:

هناك فرق كبير لا يمكن لنا أن نتجاهله بين "**المساواة**" و"**المِثل**".

أ - **المسـاواة** بيـن الرب يسوع والمؤمنين أمر غير وارد ولم يقُل به أحد بالمرة.

ولكن،

ب - يقول الرسول يوحنا إننا سنصير "**مِثْله**" لأننا سنراه كما هو. ولم يقف الرسول عند هذه الكلمات بل قال: «وكل من عنده هذا الرجاء يطهر بـه نفسـه كما هو طاهر» (1يو 3:2-3). وأنْ سنكون مثل المسيح، فهذا رجـاء ثابـت بـناءً علـى نص قاطع لا يحتمل التأويل، ولكنه لا يقول

بالمساواة لأن كلمة "مِثْل" في العهد الجديد بالذات تعني الشركة في ذات الطبيعة، ولا تعني المساواة.

✦ «كان إيليا إنساناً تحت الآلام **مثلنا**.» (يعقوب 17:5)

✦ ويقول الرب لليهود: «وإن قلتُ إني لستُ أعرفه أكون **مثلكم** كاذباً.» (يو 55:8)

✦ ومن كلمة "مِثْل" جاءت كلمة "**مِثَال**", ولذلك وضع الرسولُ يعقوبُ أيوبَ «**مِثَالاً**» (يعقوب 10:5) للصابرين.

✦ والرب يسوع هو "**المِثَال**" الذي نتبعه (1بط 21:3).

وخلف هذا الاستعمال تكمن حقيقة خَلْق الإنسان على "صورة ا **وكمثاله**" (تك 26:1). ثم جاء المسيح لكي يجدد صورتنا الفاسدة الميتة ويردها إلى مكانها الرفيع. وإذا ضاع منا هذا الرجاء فبأي شكل أو مثال نظهر أنفسنا، وما هي القوة البيولوجية في كل الأرض أو في السماء نفسها التي تحول الإنسان إلى صورة المسيح المجيدة الظافرة، سوى الشركة في الأصل في ا الذي خُلِقنا على مثاله.

ومن هنا نستطيع أن نتعرف على طبيعة الكنيسة.

الفصل الثاني

الكنيسة جسد المسيح

وحدة إلهية إنسانية هي جسد المسيح

وليست تجمُّعاً بشرياً

ما هو فوق الكلمات ويعلو على صورة الحياة البيولوجية:

إذا كـان لنا ميلاد من فوق من الماء والروح، أي باتحاد ما هو أرضي (المـاء) بما هو إلهي (الروح القدس)، فإن ميلادنا الجديد وإن كان يحمل فـي صـورته بقاء الحياة البيولوجية إلا أنه حدث تحول للكيان الإنساني لـيكون كياناً سماوياً مولوداً من فوق (يو 3:3)، لأننا حسب تعبير القديس كـيرلس الأورشـليمي ننال قيامة النفس أو الروح في المعمودية وننتظر قيامة الأجساد في يوم الدينونة.[4]

إذن، حياتنا مع المسيح أعظم وأكبر من أن توصف بكلماتنا، لأن كل ما لديـنا مـن كلمات مأخوذ ومستعمل حسب حياتنا البيولوجية. وعن قصد

(4) راجع عظات القديس كيرلس الأورشليمي عن قيامة النفس **Pro-Cat 5:15**.

أخذنـا تعبير "الحياة البيولوجية"، لأن الحياة لها جانب آخر هو **الحياة في المسيح** و**مع** المسيح و**بـ**المسيح و**لـ**لـمسيح، حسب تعبير القديس بولس الرسول، وحسب شرح الأب متى المسكين.

✦ **الميلاد من فوق (سر المعمودية)** أدخَل السماء في شركة مع الأرض، وبذلك نقل اللغة الإنسانية إلى مجال عمل الروح القدس.

✦ **المِسحة الإلهية (سر الميرون)** أعطت للإنسان روح الحق المعزي: «أما أنتم فلكم مِسحة من القدوس وتعلمون كل شيء. لم أكتب إليكم لأنكم لستم تعلمون الحق بل لأنكم تَعلَمونه. **وإن كل كذب ليس من الحق.**» (1يو 2:20-21)

✦ **الطعام الإلهي** (**سر الإفخارستيا**) "**دواء عدم الموت**" أو "**ترياق عدم الموت**"، حسب تعبير **الشهيد إغناطيوس أسقف أنطاكية** في القرن الثاني، أعطى الإنسان شركة للحواس الخارجية حتى تشترك وتعلو على ما هو مادي في الحياة الإلهية المتجسدة التي صارت طعام الحياة الأبدية.

محاذير:

أولاً: هـنا يجب أن نحرص على عدم مزج ما هو إلهي بما هو مادي وأرضـي **<u>دون اتحـاد.</u>** فالاتحـاد بين اللاهوت وبين الناسوت الأرضي الإنسـاني هـو "بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير". وهي التعبيرات التي حرص عليها آباء القرن الخامس، لكي يؤكدوا بها أرثوذكسية التعبير عن

الاتحـاد الـذي هو الحقيقة الثابتة، والتي لها قواعد أبدية في الإنجيل أي البشارة بالمسيح المخلص. وهي تظهر في ما يلي:

1. لقد تنازل ا إلينا، إلى ذات الحياة الإنسانية الميتة، لأن المسيح حياة أُعلنـت في الموت، والنور الذي أشرق للجالسين في كورة الموت وظلاله (مـت 16:4)، هذا التنازل هو الذي سد الفجوة بين ا والإنسان. وصار تنازُل ا هو الواسطة في شخص الوسيط الأبدي ربنا يسوع المسيح نفسه الذي يجمع ا والإنسان معاً في شخص أو أقنوم واحد.

2. إبـادة الموت بكل صوره، الروحية والجسدية، هذا جعل كل عوائق الموت لاشيء.

ولكـن عوائـق المـوت التي نراها في أنفسنا هي بسبب الابتعاد عن المسـيح، أي اغترابـنا عـن ا وعن أجسادنا وعن الآخرين، مما يُدخل الغضب والحقد والكراهية في علاقتنا بالآخرين الذين يختلفون معنا.

ما فوق حدود الحياة البيولوجية:

نحـن نحيا في الجسد، ولكن الرسول يقول: «ما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن ا الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل 20:2). والحـياة فـي الجسـد حسب الإيمان حددها الرسول بقوله: «**مع المسـيح صُلبتُ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في**» (غل 20:2). فالمسيح يحيا فينا كما أننا نحيا فيه: «**أحيا لا أنا بل المسيح يحيا في**» (غل 20:2)، وهذا لا ينفي الوجود البيولوجي ولكنه **يرفع** ذلك الجانب من الوجود إلى ما فـوق حـدود الحياة البيولوجية، مثل: «**مع المسيح صُلبتُ**» (غل 20:2)،

فإننا بيولوجياً لا نطلب الموت ولا نسعى إليه. وفي طقس الرهبنة القبطي، هـناك حقيقة واضحة في تراثنا الروحي وهي صلاة الجناز على الرهبان حيـث يُقال: "الراهب مات عن العالم"، وهي عبارة الرهبنة الشائعة، وهي تجعلـنا نقـف أمام هذه الحقيقة، إننا نحيا الصليب، وبحسب عبارة القديس يوحنا القصير إن الصليب **هو شريعة حياة**.

لنقف قليلاً أمام بعض العبارات الرسولية عن المسيح حياتنا:

✦ **أحياء** بالمسيح يسوع (رو 11:6).

✦ لكي تُظهَر **حياة يسوع** فينا (2كو 10:4-11).

✦ نخلص **بحياته** (المسيح) (رو 10:5).

✦ **حياتكم مستترة مع المسيح** في ا (كولوسي 3:3).

✦ متى أُظهر **المسيح حياتنا** (كولوسي 4:3).

✦ لي **الحياة هي المسيح** والموت هو ربح (في 21:1).

✦ **الحياة قد أُظهرت** (1يو 2:1).

✦ الحياة مصدرها المسيح، **والمسيح هو الحياة** (يو 4:1). هذه الحياة هي حياة أبدية.

✦ من يؤمن بالابن له **حياة أبدية** (يو 36:3).

✦ عطية الروح ماء ينبع فينا إلى **حياة أبدية** (يو 14:4).

✦ **المسيح يعطي حياة أبدية** لمن يتبعه (يو 28:10).

✦ **المسيح يحفظ خرافه إلى حياة أبدية** (يو 10:25).

✦ جاء لكي يعطي **حياة أبدية** (يو 17:2).

✦ **الحياة الأبدية هي هبة ا في المسيح يسوع** (رو 6:22).

وهذا هو **ما فوق حدود الطبيعة** أو الوجود البيولوجي للإنسان.

ما هي حياة يسوع؟

مَنْ يقول إنها حياته الإنسانية/ الإلهية ، عاش الأرثوذكسية بكل ما فيها من غِنىً.

نحـن لا نـدرس هـنا في هذا الكتاب مدارس الهرطقات، ولكنها كلها متفرعة عن مدرسة واحدة:

مدرسة هدم كل شركة بين الثالوث والإنسانية

في يسوع المسيح وبالروح القدس.

ولم يكن غريباً أن يبدأ الحوار الساخن حول لاهوت المسيح، الذي سُفك فيه دم أبرياء في شوارع الإسكندرية بواسطة الجيش أو الحامية الرومانية **لـيس في عصر الأباطرة الوثنيين أعداء المسيحية بل في عصر الأباطرة المسمين مسيحيين ولكنهم ناصروا الأريوسية.**

ولماذا اختفى أثناسيوس ولماذا حاولوا قتله؟

علـى السطح يظهر أن السبب هو الصراع الاجتماعي بل والسياسي، ولكـن فـي أعماق الصراع يظهر لنا بوضوح كافٍ **محاولة القضاء على "مكانـة الإنسـان فـي المسيح"،** هذه المكانة التي وضع الرسول بولس الأسـاس الأبـدي لها في كلمات نحتاج أن نصرخ بها في تهليل. **وراجع شـرح هـذه الكلمات في تفسير رسالة رومية للأب متى المسكين**. إنها مكانة سامية لا يملك أي مخلوق أن يمسها. وهذه الكلمات هي:

"من سيفصلنا عن محبة المسيح؟"

هـذا سـؤال الرسول نفسه (رو 35:8)، وأجاب الرسول على السؤال هكذا:

لا موت،

ولا حياة،

ولا ملائكة،

ولا رؤساء،

ولا قوات،

ولا أمور حاضرة،

ولا أمور مستقبلة (رو 38:8).

وتعبـير «**الرؤساء**» تعبير خاص بالقوات الروحية في العالم الروحي

ولكن هؤلاء يعملون بواسطة البشر (العلامة أوريجينوس في شرح رسالة رومية 18:4). وبعد ذلك وضع الرسول كل أبعاد الحياة كما نعرفها: «الطول – العرض - العُلو - العُمق». وفيما يبدو أنه كان يعيش معنا هذه الأيام، فقال: **«ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة ا التي في المسيح يسوع ربنا.»** (رو 39:8).

وهكذا جاءت مقالة «العريس»، وهي المقالة الثانية عشرة في شرح ألقاب المسيح للأب متى المسكين، لكي تؤكد - حسب كلمات الكاتب الأب متى المسكين - معنى الزيجة الميستيكية السرية للمسيح بالكنيسة، وهو الزواج الإلهي السري الذي نشير إليه في أدائنا صلاة نصف الليل كل ليلة: «**هوذا العريس (أو "الخَتَن" وهي كلمة سريانية تعني العريس) يأتي في نصف الليل...**»

✦ المسيح اتحد بالكنيسة فعلاً وسرياً وصار معها جسداً واحداً فيه.

✦ فصارت الكنيسة تمثل واقع جسده على الأرض، على أساس حب حقيقي يجمعهما باتحاد: «أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكي يقدسها مُطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة، لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غَضْنَ أو شيء من مِثل ذلك، بل تكون مقدسة (فيه) وبلا عيب (مِثله).» (أف 25:5-27)

✦ هذا الوصف والتعبير اللاهوتي لواقع الكنيسة بالنسبة للمسيح باعتبارها جسده لا يدخل فيه التصوير الرمزي أو المجازي، بل إن الرسول بولس يتكلم عن اقتناع لاهوتي عملي أننا كمؤمنين وككنيسة ا

والمسيح نُحسب أعضاءً حقيقيين في جسده السري هذا بصورة واقعية: «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه.» (أف 5:29و30)

✦ هنا يترك الرسول بولس هذا الواقع اللاهوتي الفكري ليدخل الواقع الإفخارستي الحسي، فنحن إذا أكلنا جسده صرنا بالضرورة الحتمية أعضاء في هذا الجسد (**راجع كتاب «العريس»، طبعة 1994، ص 4-5**).

وعاد الأب متى المسكين إلى تراثنا الآبائي ليقول في عبارات قاطعة إن المسيح ربنا **"قدس الجسد وأعطاه كما هو ليصير هو جسدنا بلحمه وعظامه"** (ص 5).

هذا الجسد الذي أخذه الرب من والدة الإله هو جسدنا، ومن أجلنا أخذه الرب. والزواج تم، **حسب عبارات الأب متى المسكين وحسب عبارات معروفة لمن يقرأ كتابات آباء الكنيسة**، "أصل الزيجة التي تمت باتحاده أولاً بجسدنا في العذراء التي أخذ منها عروسه، الذي هو الجسد، فوُلد (الجسد) متحداً بها بلاهوته، أي **وُلدت الكنيسة متحدة بالمسيح يوم وُلد المسيح، وبالتالي وُلد كل فرد منا في بيت لحم** [ولو وقف الكاتب عند هذه العبارة لجاز للبعض أن يفهموها بأننا وُلدنا **جسدياً** في بيت لحم، ولكنه أضاف مؤكداً ما سبق وذكره:] "**فصارت مسقط رأس <u>البشرية المفتداة</u>**" (ص 5)".

✦ ونحن هنا أمام لحن إلهي إنساني رائع يضع فيه المؤلف خَلْق حواء من ضلع آدم كمثال لخَلْق الكنيسة من جنب آدم الجديد ربنا يسوع المسيح.

اتحاد آدم وحواء هو اتحاد بيولوجي طبيعي، جسد واحد، وهو لذلك

مثال للاتحاد الروحي الذي جاء به الرب يسوع المسيح، اتحاد لا يقتل ولا ينفي ما هو أرضي؛ **بل يأخذ ما هو أرضي لكي يرفعه إلى ما هو سمائي:** **«الـذي سوف يغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده.»** (فيلبي 21:3)

ولذلك ينقل الأب متى المسكين القارئ لا إلى الفكر اللاهوتي فقط، بل وإلـى الخبرة وتذوق جسد الرب ودمه في الإفخارستيا، لأننا حسب العهد الجديـد وحسـب كلمات التقوى الأرثوذكسية **نصبح "جسداً واحداً وروحاً واحداً"** بالتناول من السر الإلهي.

مفترق الطرق:

كثـيراً ما نأتي إلى نقطة في سَفَرِنا هي مفترق طرق، طريق يبدأ من ذات الـنقطة التي يبدأ بها طريق آخر ولكنه يؤدي بنا إلى مكان آخر بعيد تماماً وربما في الاتجاه المعاكس.

هذه النقطة: ما هي غاية الحياة المسيحية الأرثوذكسية في المسيح؟

الطـريق الأول: هو عودتنا إلى ا بواسطة ابنه وبقوة الروح القدس والحياة المشتركة، أي حياة الشركة في الكنيسة.

الطريق الثاني: أن نحيا حياة أخلاقية جيدة لا تشرب من قوة الثالوث بـل تعمل بقوة الإرادة الإنسانية وحدها، وهذا مستحيل على الإنسان الذي يظـن أنه يمكنه أن يكون مقدساً بدون روح القداسة، أي روح يسوع، أي الروح القدس.

الطـريق الأول يعود إلى الجذر الواحد لكل شيء وهو المسيح يسوع، ويرى الحقيقة الكامنة وراء كل تعبير وكلمة وإشارة فلا يقع في فخ المجاز والاسـتعارة وهـو الفـخ الـذي يـراه الناسك القبطي برؤية آبائية دقيقة فيـتجاوزه، لأن المجاز والاستعارة (أو حسب عبارة الأب متى المسكين: **"التصوير الرمزي"** (ص 4)) ينفي:

أولاً: ينفـي حقيقة التجسد، فالتجسد ليس رمزاً ولا هو مجاز ولا هو اسـتعارة، ولذلك عاد لكي يؤكد شرح عبارات اللحم والدم وحتى العظام: "لـم يشترك معنا في اللحم والدم وحسب بل وفي العظام أيضاً، فأصبحت شركتنا معه بالتالي على هذا المستوى بعد أن قدس الجسد وأعطاه كما هو ليصير هو جسدنا بلحمه وعظامه" (ص 5).

وثانـياً: ينفـي حقـيقة سر الإفخارستيا، لأن الذي نراه على المذبح ونلمسـه بأيديـنا ونأكله ليس **رمزاً وليس مجازاً ولا استعارة ولا ما هو معـروف في كل لغة بشرية**، بل هو ما فوق كل الحروف والكلمات، هو «**جسـد ودم عمانوئـيل إلهـنا. هذا هو بالحقيقة. آمين**» حسب كلمات الاعتراف في القداس الإلهي والتقوى الأرثوذكسية.

- هكـذا جئـتَ – أيهـا الأب مـتى المسـكين - لكي تدافع عن التعليم الأرثوذكسـي كله، لكي ترد كل شيء إلى جذره أو إلى ينبوعه الأول والوحيد: **إلى الرب يسوع المسيح**.

فكيف حدث ذلك؟

هـل هـو أمـر وُلد في الزمان والتاريخ وحده؟ أم أن الأمر يعود إلى "تدبير ملء الأزمنة" حسب كلمة رسول المسيح؟ إن جذر كل شيء هو في

اتحـاد اللاهـوت بالناسـوت، ومـا أُعطي في الزمان والتاريخ لم يكن الـبداية... أبـداً بالمرة... **لقد وُلد الرب من العذراء في بيت لحم لأجلنا وليس لأجلـه، صـار كواحد منا لكي نحن نصير «مثله»**. وهنا يصبح الهجـوم علـى هذه الحقيقة ليس هجوماً على "**عبارة**" أو "**كلمة**" بل **على المسـيح نفسه**، إلى أصل الخلاص، إلى تجسده، إلى الرب الذي "خطب الـنوع الإنسـاني بتجسـده" (طقس المعمودية القبطي). ولكن هذا الزواج حـدث له هو، حدث فيه هو أولاً، صار الحَدَث الأصلي أو الينبوع، وهنا تكون شهادة الآباء هي **لأجل الرب نفسه، بل ولأجل حياتنا الأبدية**.

تنازل الرب ابن الآب:

يقـول القديـس كيرلس في شرح إنجيل يوحنا 9:1 (المجلد الأول ص 141-142):

[لقد نزل إلى عبوديتنا لا لكي ينال منها شيئاً يأخذه بل حسب صلاحه يعطي ذاته لنا **¹m‹n ˜autÕn carizomšnoj** لكي نغتني بفقره (2كو 9:8) ولكي نمجد حسب مثاله ونصبح مثله حسب غِنَى صلاحه ونكون آلهة وأبناءً ا **qeo... te ka˜** بالإيمان. هو بالطبيعة الابن وا **qeoà tškna** الذي حل بيننا، ولذلك السبب، بروحه، نصرخ "أبّا أيها الآب" (رو 15:8)].

لقد كان المسيح هو الذي قال للآب "أبا" (مرقس 36:14)، فكيف تكون علاقتنا به على مستوى المجاز أو الرمز، ثم نصرخ بذات الكلمات؟ كيف نـنطق بما لا نملك وبما لم يُعطَى لنا؟ ولكن لأن الابن الحقيقي ربنا يسوع

هـو ابـن الآب، فقـد "**أخـذ الـذي لنا وأعطانا الذي له**"، وهي تسبحة وذكصـولوجية الكنيسة، فقد أعطانا شركة في بنوته، ولذلك يقول **القديس أثناسيوس**:

[إن الذين لا يوجد الابن في قلوبهم لا يملكون أن يدعوا ا   آباً لهم]

(ضد الأريوسيين 22:4).

الفصل الثالث

مسقط الرأس للبشرية المفتداة

لا شـك أيهـا القارئ أنك اختبرت أن تعود إلى المسيح المخاص وأن "تتلامس معه" حسب تعبير الأب متى المسكين؛ وعندما نعود إلى المسيح، ماذا نرى فيه لنا نحن الذين قَبِلْناه؟

إننا نعود مرة ثانية إلى مفترق الطرق:

1. **إما طريق الاتحاد السري الميستيكي؛**
2. **وإما الصلة الأخلاقية الخارجية فقط.**

والطـريق الأول يـرد كل شيء أخذناه ونأخذه من المسيح نفسه وإليه، ويُحدث فينا كل ما حدث هو منه وله. وهو ما يجعلنا **فيه**، ويهبنا أن نكون **شـركاء** لكـل مـا يخصه، من ولادة ومعمودية وتجارب البرية والموت المحيي والقيامة.

لقد حدد الأب متى المسكين معالم الطريق في عدة كتب، وأولها: **«مع المسـيح فـي آلامه وموته وقيامته»**، وهو أول عمل لاهوتي جيد طرح جانـباً لاهـوت العصـر الوسيط الشرقي والغربي معاً وعاد إلى الينبوع الآبائـي الأرثوذكسـي. ثـم تـلاه كتاب: **«أعياد الظهور الإلهي»**، وهو مجموعة مقالات نُشرت في مجلة مرقس.

لـم يولـد المسيح لأجل **احتياج خاص به** ولا **من أجل احتياج خاص**

بالآب. هذا تعليم غريب، ولكنه حسب كلمات أبينا القديس كيرلس في شرح إنجيل يوحنا 17:

[لقد جاء إلينا وتأنس ليس لأجل احتياج خاص به وإنما لكي يعد الطريق: di' ™autoà te ka^ ™n ™autù = through himself and in himself أي: في ذاته أو كيانه وبواسطة نفسه] (مجلد 726:2 الأصل اليوناني).

ولاحظ قوة التعبير: "**في ذاته أو في كيانه أو نفسه**".

وقبل ذلك يكتب القديس كيرلس وهو يشرح يوحنا 2:4:

[لأن كلمة ا الواهب الحياة حل في الجسد، ونقل إلى الجسد صلاحه الذاتي tõ ‡dion ¢gaqÒn، أي الحياة. وباتحاد يفوق الوصف، جعل جسده واهباً الحياة عندما اتحد به، لأنه هو (الكلمة)، حسب طبيعة واهب الحياة، ولذلك السبب يعطي جسد المسيح الحياة لكل من يشترك فيه، لأن (جسده) يبيد الموت من الذين يأخذونه، ويطرد الفساد، لأنه هو جسد الكلمة المملوء (من الكلمة) والذي يطرد الفساد] (مجلد 520:1 الأصل اليوناني).

وخاف كل هذا يكمن التسليم الإسكندري الذي صاغه القديس أثناسيوس في دقة (راجع المقالة الأولى ضد الأريوسيين فقرة 27-40 والمقالة الثانية فقرة 61):

[**اتحادنا بالمسيح المتجسد والمصلوب والحي من الأموات** الذي رد إلينا الخلود بالقيامة وأباد الموت على الصليب المكرم]

التسبحة السنوية	القديس أثناسيوس الرسولي
أشرق جسدياً من العذراء، بغير زرع بشر، حتى خلصنا. **(ثيئوطوكية الإثنين)**	يقول المزمور: «جعلتَه على كل أعمـال يديك»، وأيضاً في موضع آخـر يقـول الرب عن نفسه: «أنا جعلـتُ منه ملكاً على صهيون جبل قدسـي» (مز 6:2). هذا تم **عندما أشرق جسدياً** على جبل صهيون. **(ضد الأريوسيين 52:2)**

و"**إشراق الرب جسدياً**" ليس فقط الإعلان عن ألوهيته[5]، بل كما يؤكد كل الآباء وبشكل خاص القديس أثناسيوس وبعده القديس كيرلس، أن الرب يسـوع **حـول بداية وجودنا إلى كيانه**[6]، حيث حصر معلمنا الإسكندري القديس أثناسيوس الرسولي التجسد وحدده بأنه **اتحاد الرب ببداية أو أصل الوجـود الإنسـاني: "لكي يحول أصلنا أو بدايتنا إلى ذاته"**. وفي المقالة الثالثة ضد الأريوسيين يؤكد القديس أثناسيوس حقيقة الاتحاد بين اللاهوت والناسـوت، رغـم أنـه لـم يكـن موضوعاً مطروحاً في الصراع ضد الأريوسـية، ولكنه كان ضرورياً لأن الجوع والألم والموت على الصليب

(5) لأن الأريوسية أنكرت ألوهية الابن وهذا يقضي على التجسد نفسه والنسطورية أنكرت الاتحاد، وهذا يجعل التجسد عملاً بلا أهمية وبلا فائدة، أي شيئاً زائداً.

(6) القديس أثناسيوس الرسولي: الرسالة إلى أدلفوس: 4 - ضد الأريوسيين 33:3 .

جعلها الأريوسيون براهينَ على أن الابن مخلوق، ولم يكن غريباً أن يعود نسـطور إلـى نفـس البراهين لكي يؤكد عدم اشتراك اللاهوت في هذه الصفات الإنسانية.

ولكن يقول معلمنا الكبير:

[لقد حمل (قَبِلَ) الكلمة كل ضعفات الجسد،

والجسدُ خدم كل أعمال اللاهوت،

لأن اللاهوت كان في (الجسد)

وكان الجسد هو جسد ا][7].

وقبل هذه الفقرة يكتب **القديس أثناسيوس العظيم**:

[لأنه الإله وتجسد، صار جسده هو جسده الخاص... ولأنه تأنس لأجلنا، ولذلك السبب عينه صارت صفات الجسد صفاته هو لأنه كان في الجسد][8].

فمـا هـو "إشراق الابن جسدياً"؟ بحسب تسليم التسبحة السنوية، إنه تصوير المسيح بأنه **العريس السماوي الذي أشرق على البشرية** ليتحِد بها

(7) المقالـة الثالثة ضد الأريوسيين - 31:3؛ راجع الرسالة إلى أدلفوس 3، وقبل ذلـك بحوالـي 200 سـنة وأكـثر يردد القديس إغناطيوس نفس التعليم: الرسالة إلى الرومانيين 6.

(8) المقالة الثالثة ضد الأريوسيين - 31:3.

اتحـاد العريس بالعروس. وهو ملخص تعليم الآباء وبشكل خاص القديس أثناسيوس الرسولي والقديس كيرلس الكبير:

[السلام لمخدع الزواج	Xere pima`n12elet:
المزين بكل نوع	etcelcwl ,qen ov(0o `nr358:
الذي للعريس الحقيقي	`nte pinvmfioc `mm3i:
الذي اتحد بالبشرية].	`eta894hwtp `e5metrwmi.

(ثيئوتوكية الأربعاء)

هذا الاتحاد بالبشرية ظهر بشكل سري وأُعلن حسب التدبير:

[السلام للعليقة التي ليس لها طبيعة مادية ونار لاهوته لم تحرق شيئاً منها.

السلام للعبدة والأم، العذراء والسماء، التي حملت جسدياً الذي يجلس على الشاروبيم]

(ثيئوتوكية الأربعاء)

فما هي غاية كل هذا؟

[لقد جاء محب البشر **لكي يخاص نفوسنا** بظهوره المقدس]

(المرجع السابق)

وإذا عدنا إلى **ثيئوتوكية الاثنين** نرى تدبير الخلاص:

حواء أُعتِقَتْ بتجسد الرب:

[حواء التي أغْوَتها الحية، حُكم عليها من قِبَل الرب: إن بالكثرة أُكثر أحزانك وتنهداتك. تحنن الرب من قِبَل محبته للبشر وسُر مرة أخرى بعتقها. أشرق جسدياً من العذراء بغير زرع بشر حتى خلصنا]

(ثيئوتوكية الاثنين - القطعة الثانية)

لاحظ أيها القارئ في هذا التسبيح، كيف تُعِيد التسبحة نص إنجيل يوحنا 16:3 **«لأنه هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الحبيب»**:

[افرحوا وتهللوا يا جنس البشر،

«لأنه هكذا أحب الله العالم،

حتى بذل ابنه الحبيب» عن المؤمنين به،

لكي يحَيَوْا إلى الأبد.

لأنه غُلب من تحننه، وأرسل لنا ذراعه العالية].

(ثيئوتوكية الاثنين - القطعة الخامسة)

ولاحـظ كيف لا تذكر التسبحة هنا بالذات أن الابن مات لكي يدفع ثمناً لإرضـاء العـدل الإلهي، بل **لكي نحيا إلى الأبد، وأنه لم يرسل ابنه عن حتمية وضرورة إطفاء غضبه أو رد كرامة مجروحة، بل بالتحديد "لأنه غُلِبَ من تحننه"،** فأرسل لنا ذراعه العالية أي ابنه.

وتذكـر التسـبحة حقيقة الاتحاد حسب تعبير القديس كيرلس: "طبيعة واحـدة وأقـنوم واحد وشخص واحد الكلمة. أشرق جسدياً من العذراء بغير زرع بشر حتى خلصنا"، لكي تنقل القارئ إلى الواقع:

[السلام لبيت لحم مدينة الأنبياء (أي المدينة التي حظيت بنبوات عن التجسد) التي وُلد فيها المسيح آدم الثاني، لكي يرد آدم الإنسان الأول الترابي إلى الفردوس].

(ثيئوتوكية الاثنين - القطعة السابعة)

كـان التجسد هو الإعلان الذي تم فيه الموت والقيامة، وهو الذي حقق اتحـاد ا مـع البشـر حسـب عبارة ثيئوتوكية الأربعاء، لأن ثيئوتوكية الخمـيس تبدأ بالعُليقة، فهي تُدخلنا في أعماق السر: تجسد الرب من والدة الإله:

- ❖ نُقِضَتْ اللعنة الأولى.
- ❖ فتح لنا باب الفردوس.
- ❖ وَهَبَنا شجرة الحياة، أي جسد ا ودمه.
- ❖ صـارت العذراء: "ينبوعاً لعدم الموت. وَلَدَتْ لنا عمانوئيل بغير زرع بشر وحل (أو نقض) فساد جنسنا".
- ❖ اتحاد اللاهوت والناسوت يؤكده سجود المجوس.

وحسـب التفسير الآبائي: "اللبان قُدم له كإله، والذهب كملك، (ولاحظ)

والمُـرَ علامة على **موته المحيي الذي قَبِلَه بإرادته وحده**" - **(ثيئوتوكية الخمـيس - القطعة الخامسة)**؛ لأن الموت لم يُفرَضْ على الابن، ولم يقع الابـن تحت سطوة العدل، ولم يحترق ويتحول إلى رماد؛ **بل «إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى المنتهى» (يو 13:1) حول موته إلى حياة للبشر من خلال سر الاتحاد بهم.**

وحسب كلمات التقوى تقول **ثيئوتوكية الخميس**:

[الواحد من الثالوث

المساوي للآب في الجوهر

لما نظر إلى مذلتنا وعبوديتنا

طأطأ سموات السموات وأتى إلى بطن العذراء

وصار إنساناً مثلنا...

لما وُلد في بيت لحم ... أنقذنا وخلصنا لأننا نحن شعبه].

وتعود ثيئوتوكية الجمعة لنفس التعبير:

[مباركةٌ أنتِ في النساء ومباركةٌ ثمرتُكِ يا مريم،

لأنه قد أشرق لنا منكِ شمس البر **والشفاء في جناحيها لأنه الخالق**].

وتعلق التسبحة بعد ذلك فتقول المرد الآتي:

[هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له]

وما هو الذي أخذه منا؟

[هو أخذ جسدنا وأعطانا روحه القدوس،

وجعلنا واحداً معه من قِبَل صلاحه].

وتؤكد ثيئوتوكية السبت هذا الاتحاد "**لقد صرنا معه واحداً**":

[وَلَدَتْهُ للعالم **باتحادٍ** بغير افتراق].

ويدخـل الرمـز بقوة في قلب الصلاة والتسبيح، لأن المولود واحد مع الآب من جهة اللاهوت وواحد معنا من جهة الناسوت، وهو ابن العذراء. ولاحظ قوة التعبير، لأن ولادة الرب لم تفصل الرب عن أمه، هذه الرابطة ليسـت مشاعر وعواطف رغم وجودها، وإنما هي رابطة أكبر من كل ما نعرف عن المشاعر والعواطف:

[السلام للممتلئة نعمة، المائدة الروحية التي تعطي الحياة لكل من يأكل منها].

(ثيئوتوكية السبت)

ولولا **اتحاد اللاهوت بالناسوت** لما استطاع أحد أن يتفوه بهذه الكلمات:

[السلام للإناء غير الفاسد الذي للاهوت المُعطي الشفاء لكل من يشرب منه].

عجيـب! هـا نحن **نشرب اللاهوت**، طبعاً سرائريّاً، ونحن نشرب الدم المحيي، حسب النعمة وليس حسب مقياس جسدي.

أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له

يُعلم القديس أثناسيوس الكنيسة الجامعة في رسالة عيد القيامة (الرسالة الفصحية العاشرة - سنة 338م)، لكي يؤكد لنا معنى ما نرتله:

[لقد نزل لكي يرفعنا (أو يقيمنا) إلى فوق،

احتمل مشقة الميلاد لكي نحب غير المولود (الآب)،

نزل إلى الفساد لكي يُلبِس الفاسد عدم الموت،

صار ضعيفاً لأجلنا لكي نقوم بقوة،

نزل إلى الموت لكي يعطينا عدم الموت ويعطي الموتى الحياة،

أخيراً لقد تأنس لكي لا نموت كبشر بل لكي نحيا من جديد ولا يملك علينا الموت أبداً (رو 9:6)].

وحفظ لنا **القديس كيرلس** عبارة التسبحة السنوية:

[تنازل الابن ونزل إلينا لكي يرفعنا إلى مقامه الإلهي العالي،

نحن الذين لنا طبيعة حقيرة.

أخذ صورة العبد رغم أنه بالطبيعة الرب والابن،

لكي يحول الذي هو بالطبيعة عبدٌ لمجد التبنّي

حسب صورته ومثاله وبالشركة فيه.

وكما أنه صار كواحد مثلنا، إنساناً، لكي يجعلنا مثله،

أنا أعني آلهة وأبناءً.

لقد أخذ الذي لنا وأعطانا بدلاً منه الذي له].

(شرح إنجيل يوحنا 1:12 - مجلد 3:122-123)

بداية الوجود الإنساني الجديد باتحاد اللاهوت بالناسوت:

بدء الإنسان، أو أصل الإنسان، هو كما يكتب **القديس أثناسيوس**:

[لقد تأنس لكي يؤلهنا فيه. ووُلد من عذراء، لكي يحول ميلادنا الخاطىء، لكي نصبح جنساً مقدساً وشركاءَ الطبيعة الإلهية (2بط 4:1)] - **(الرسالة إلى أدلفوس: 4)**

[ومع أن الجسد وُلد من مريم والدة الإله، إلا أنه هو الذي وُلد رغم أنه هو الذي للآخرين كان أصل وجودهم (أو بداية وجودهم)، وذلك

لكي يحول بدايتنا (أو أصلنا) إلى ذاته (أو كيانه)، حتى لا نصبح بعد ترابيين ونعود إلى التراب، بل باتحادنا بالكلمة (أو بشركتنا في الكلمة) الذي هو من السماء نصعد إلى السماء (نُحمَل) فيه (أو بواسطته)] **(ضد الأريوسيين 33:3)**.

وبدايـة أو أصل الوجود الإنساني هو الحَبَل، وهو الجنين الذي يتكون في بطن أمه، وهو بداية وجود الرب بالجسد، الوجود في الزمان والتاريخ، ذلـك الوجود الذي أخذه منا نحن. ولذلك، وبدقة تامة، يؤكد كل الآباء أن **الابن الأزلي حول بدايتنا أو أصلنا إلى كيانه الإلهي**. هذا هو معنى الاتحاد الأقنومـي كما شرحه **القديس كيرلس عمود الدين**، (الغائب عن الكتابات العربية المعاصرة؛ بل وكتابات العصر الوسيط)، **وكان الأب متى المسكين هو أول من وجه الأنظار إليه**[9].

يقول معلمنا **القديس أثناسيوس** في نفس الرسالة إلى أدلفوس إن الرفعة والمجد والقوة وكل تحول في الكيان الإنساني بدأ من الرب نفسه:

[لقد تمت إضافة كبيرة للجسد الإنساني نفسه بسبب شركته واتحاده بالكلمة لأنه بعد أن كان مائتاً، صار غير مائت، وبعد أن كان حياً حياة إنسانية طبيعية yucikÕn صار روحانياً، ورغم أنه خُلق من التراب إلا أنه صعد إلى السموات ودخل من أبواب السماء] (فقرة

(9) وهـو، أي القديـس كـيرلس الكبـير، لم يكن معروفاً عندنا في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي ولم نسمع بتفسير إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الكبير، وكـل مـا قـرأناه من كتابات هذا القديس العظيم كان هو الفصول الاثني عشر ضد نسطور التي وردت في مخطوطة اعترافات الآباء.

9).

❖ وهكـذا نعـود إلـى "**مسقط رأس البشرية المفتداة**"، إلى ميلاد الرب نفسه، وإلى أساس الكنيسة، وبداية الاتحاد التي وضعت أساس الكنيسة في بيت لحم، في "بيت الخبز" حسب الترجمة العربية، و"لحم" و"خبز" هما ذات الكلمة في الأرامية.

❖ وإذا لـم يكـن أساس الكنيسة في الرب يسوع وبدأ بالتجسد فأين ومتى بـدأ؟ ألـم يحمـل هو في كيانه كل البشر لأنه مثل آدم الأول - رغم الفوارق الكبرى - آب الإنسانية، والآن رأس الإنسانية الجديدة؟

وثمـة نقطة هامة لابد أن نقف عندها: إذا كانت الكنيسة جماعة بشرية تكونت بعد صعود الرب وبعد حلول الروح القدس وليس لها أصل أو بداية فـي المسـيح ابن ا المتجسد، ألا يؤدي بنا هذا التصور إلى فصل أقانيم الـثالوث، لأن خدمة وكهنوت الابن في هذه الحالة لا تكون قد أعطِت لنا شـيئاً ولـم تمسّ وجودنا، ويكون وجودنا الإنساني قد أصبح "غريباً" عن التدبـير، وكـأن الخلاص يبدأ بكنيسة ليس لها أساس في المسيح بل نالت فقط "قوة" من الروح القدس - أي نالت مواهبَ وليس أقنوم الروح القدس نفسـه. ومـن المعروف أن عمل الروح شيء والروح القدس نفسه شيء آخـر. ولأن الروح القدس هو الذي كون جسد الابن في بطن البتول وبعد ذلـك مَسَـحه بالـروح القدس، فإذا كنا نأخذ مواهب وقوة فقط من الروح القدس - وليس لنا شركة مع الأقنوم نفسه - فنحن حينئذ لا يمكن أن نأخذ المسيح في الإفخارستيا من الروح القدس، وحينئذ ننتهي إلى **لا علاقة - لا شركة - حتى مع الابن نفسه**. ولكن - حسب العقيدة الأرثوذكسية – إن

الذي يحل على الخبز والخمر هو الروح القدس وليس "عمل" أو "مواهب" الروح القدس.

ولكـن الإيمـان يصرخ، ومعنا كل رمال الإسقيط التي تقدست بعرق عظمـاء التاريخ المسيحي وبدم الشهداء منهم: إن الروح القدس الذي كون جسـد الـرب يسوع ومَسَحه، هو الذي يعطي لنا الابن بكل ما فيه. لأننا ثابـتون **في الابن بسبب تجسده، ونحن فيه بسبب المسحة** لأن الآب هو الـذي يثبتـنا فـي المسيح (2كو 21:1) بالروح القدس، وبه ننال المسيح الواحد في الإفخارستيا.

لقـد قلنا ولا نزال نعيد ما قلناه، إن منهج "الفصل" و"التقسيم" هو ذات مـنهج النسطورية ابنة الأريوسية، أما منهج "الدمْج" و"الذوبان" فهو منهج الأوطاخـية العدو اللدود لتجسد الرب، وهي ابنة هرطقة أبوليناريوس. إذ كـيف يمكـن أن ينقسم وجود الكنيسة من الرأس - أي المسيح - إلى ما سـماه الـبعض كنيسة المهد وكنيسة القيامة وكنيسة العنصرة... إلخ، هذا التقسيم الخطير في فكر البعض وليس في كتابات الأب متى المسكين ينفي مـا حـدث فـي بيت لحم والأردن والجلجثة والقبر... **هذه ليست أحداثاً منفصـلة رغـم تـباعدها الزمني**، ولكن الذي يجمعها ويحولها إلى غاية واحـدة لـيس الزمان ولا الشريعة، ولكن **الابن الواحد المتجسد الذي هو الواحد** الذي «يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند ا والناس» (لو 52:2)، والـذي قـال عـنه **معلمنا العظيم أثناسيوس**: إن الناسوت كان **يتقدم** تدريجياً:

[عندما كان الناسوت يتقدم، كان إعلان اللاهوت يتقدم أيضاً عند

الذين يعاينون ذلك. وكلما كان اللاهوت يُعلَن أكثر فأكثر، كذلك أيضاً كانت نعمته كإنسان تزداد أمام البشر] (ضد الأريوسيين 252:3).

ولذلـك كان من اللائق أن تظهر المسحة في الأردن بعد 30 عاماً من المـيلاد، وكان من اللائق أيضاً أن تُعلَن محبة الخطاة والخلاص بعد ذلك على الصليب، ولكن يظل الأساس واحداً وهو:

الرب الواحد يسوع المسيح, والكنيسة الواحدة التي رأسها المسيح

***الرأس:* «kefal**

- ❖ وُصـف الـرب يسوع بأنه رأس الجسد، الجسد أي الكنيسة. (كولوسي 18:1 - أفسس 15:4 - كولوسي 19:2).
- ❖ وفي كولوسي 19:2 المسيح هو الرأس الذي تُولَد منه جميع الأعضاء،
- ❖ وفـي رسـالة أفسـس 15:4،16 «هـو الرأس الذي منه تنمو جميع الأعضاء».

هـنا نجد مأزق الهراطقة جميعاً، لأن الرأس له مكانة هامة في الأسفار وفي كتابات الآباء: رأس الأسرة هو الأب (كتاب الراعي، هرماس: الرؤيا 3:7)، وفي دفاع القديس أثناسيوس، الأسقف هو رأس الجماعة (فقرة 89

مجلـد 25: 409) أي الكنيسـة. وبالطـبع، الخطاب هنا لا يمسّ الجانب البيولوجـي وهو مُستبعَدٌ تماماً في لغة الأسفار وعند الآباء جميعاً. والرب يسـوع هـو رأس الخليقة الجديدة وهو رأس الكنيسة حسب تعليم الرسل. والمعـنى البيولوجـي مُسـتْبعَد تماماً لأنه خاص بما هو ظاهر وهو لذلك محدود. يقول **القديس ذهبي الفم** في العظة 3 على كولوسي 18:1:

[بعد أن قدم لنا الرسول كرامة الرب، يقدم لنا الآن محبته للبشر. ولذلك يقول هو رأس الجسد الكنيسة. وهنا لم يقل الرسول إننا أخذنا من ملئه، رغم أن هذا ظاهر في معنى كلمة "رأس"، ولكنه يكتفي هنا بأن يوضح لنا رأفته تجاهنا، لأنه (الرب) الذي هو فوق الكل، الذي اتحد بالذين هم أسفل، وهو - كرأس - هو الأول، في الكنيسة هو الأول لأنه الرأس، في القيامة هو الأول لأن هذا هو معنى العبارة: «لكي يكون هو متقدماً في كل شيء» (كو 18:1).]

ولكـي نؤكد أن ما ذكره الأب متى المسكين عن الكنيسة هو ذات تعليم الآباء، وكنموذج نقدم ما يذكره **القديس ذهبي الفم** في العظة السابعة على الرسـالة إلـى كولوسـي وهو يشرح الآية 19:2 وبذات كلمات الرسول: «غير متمسك بالرأس الذي منه كل الجسد»:

[أي أن الجسد يأخذ وجوده وبقاءه من الرأس، فلماذا لا نتمسك بالرأس، وهل نتمسك بالأعضاء فقط؟ إذا أنت قُطِعْتَ من الرأس فقد هلكتَ. «الذي منه كل الجسد». كل إنسان، مهما كان ذلك الإنسان، لا يأخذ الحياة فقط بل ويأخذ أيضاً العلاقة مع الجسد وباقي الأعضاء، وكل أعضاء الكنيسة تأخذ الحياة إذا تمسكت بالرأس

وتنمو].

وبعـد ذلك يكتب **القديس يوحنا** بقية نص كولوسي 2:19-22: «غير متمسك بالرأس الذي منه كل الجسد بمفاصل ورُبُطٍ متوازراً ومقترناً ينمو نمواً من ا ». ويشرح هذه الكلمات في اختصار شديد:

> [يقصد (الرسول) حسب ا ، أي الحياة الفضلى التي من الحياة الكاملة] - **(المرجع السابق)**.

وا ليس مجازاً ولا رمزاً ولا تشبيهاً، ولكن الحياة التي توهَبُ منه في ابنه هي التي تحتاج إلى الرموز والصور والمجازات والاستعارات... إلخ، لا لكي تؤكد عدم جدوى أو عدم وجود هذه الحياة بل لتؤكد أن وجودها هو فوق كل الحروف والتصويرات، الوجود الذي يعلو على كل الصور العقلية التي نعرفها عن الحياة البيولوجية أي الطبيعية.

وهـنا "**الـرأس**" هـو المصدر، وهو سبب تماسك ووحدة الأعضاء. وطبيعـياً هذا ما نعرفه على المستوى الحسي، وأما ما هو فوق المستوى الحسـي، فيقول عنه الرسول: "**حسب ا** " أو "**نمواً من ا** "، وهذا هو ما يُطلـق علـيه اسـم: **المستوى الميستيكي** **mystical**، أي السري الباطني، **والـذي ناضـل ودافـع عنه وعاد وغَرَسَه في مؤلفاته قدس الأب متى المسـكين لأنـه ذات مسـتوى التعليم الرسولي** والذي فُقد من الكتابات العربية في القرون الوسطى وأعاده الأب متى المسكين.

جوهر التجسد أنه ينزع صفة انفراد وانعزال الله عن البشر

وهنا يجب أن نقدم هذا النص للقارئ لعله يلمح دقة التعليم عن المسيح وعـن جسـده الكنيسـة، فقد نزع تعبير الرسول بولس عن التجسد **صفة الانفراد والانعزال عن البشر،** بل جعل جسد المسيح المركز والمحور الذي يجمع كل أبعاد التاريخ، ويعلن في الدهور محبة ا ، **ويعطي لكل المؤمنين بالمسيح أن يكونوا واحداً معه وفيه،** لأن جسده صار هو الكنيسة، وصار حقيقة واحدة وهي: **يسوع المسيح الرب هو الرأس ونحن أعضاء جسده.** هكـذا يقـدم **القديس ذهبي الفم** في إيجاز وسهولة بعض أوصاف وألقاب الرب يسوع:

> [لنتمسك بإصرار بالمسيح، ليس بالعواطف فقط بل أيضاً بالتجذر فيه **cemented**. لأننا إذا انفصلنا عنه هلكنا: «لأن الذين يبتعدون (ينفصلون) عنك يهلكون» (مز 27:73 س). لنلتصق به، بأفعالنا لأن: «من يحفظ وصاياه يثبت فيه» (1يو 24:3). ولدينا عدة صور تجعله يتحد بنا. فإذا قلنا إنه "الرأس" فنحن "الأعضاء". وهل توجد مسافة تفصل الرأس عن الأعضاء؟ هو "الأساس" ونحن "البناء"، هو "الكرمة" ونحن "الأغصان"، هو "العريس" ونحن "العروس"، هو الراعي ونحن "الخراف"، هو "الطريق" ونحن الذين يجب أن نسلك فيه. وأيضاً نحن "الهيكل" وهو "الساكن في الهيكل" (أو الحال في الهيكل - أي ا)، هو "الابن البكر والوحيد" ونحن "إخوته"، هو "الوارث" ونحن "ورثة معه"، هو "الحياة" ونحن "أحياء به"، هو

"القيامة" ونحن الذين "سنقوم"، هو "النور" ونحن الذين "نستنير". كل هذه تعني الوحدة. ولا تسمح هذه "الصور" بمسافة تفصل حتى لو كانت "شعرة"، لأن مَنْ ينفصل عنه ولو قيد أُنمُلة سوف يبتعد عنه في النهاية. لأن الجسد لو جُرح جَرحاً طفيفاً بسيف يمكن أن يهلك في النهاية. والبناء الذي يُصاب بشرخٍ يمكن أن ينهار، والغصن الذي يُقطع من الجذر بعد فترة قصيرة يموت...][10]

هـذا الـتحذير لم يكن مجرد خطاب لواعظ شهير، بل قال قَبْلَه الشهيد إغناطيوس:

[يسوع المسيح وروحه الذي هو حياتنا الأبدية] (الرسالة إلى المغنيسيين 2:1)

ومعـه تقـول أوشية الإنجيل في طقسنا القبطي: "**لأنك أنت هو حياتنا كلنا**"، وقبل الكل قال الرسول: «من يفصلنا عن محبة المسيح» (رو 35:8)، وقـدم قائمة بكل ما هو موجود ومعروف ويمكن أن يفصلنا عن محبة المسـيح وأضاف: "ولا خليقة أخرى" لا نعرفها (رو 39:8). ولذلك يقول **القديس ذهبي الفم** في العظة 17 على 1كو 12:6:

[إذا كان جسدنا هو عضو المسيح والمسيح قام، فبالحقيقة يتبع الجسدُ الرأسَ].

(10) عظة 8 على كورنثوس الأولى 1:3-23.

الرأس الذي فيه ومنه كل أعضاء الجسد:

يجـب أن ندرك أن حرف "**منه**" يؤكد "**المصدر**"، وحرف "**فيه**" يؤكد **الـبقاء والديمومة.** ولذلك يقول الرسول عن الرب: «**فيه** خُلِق الكل» (كو 16:1)، «الكل **به**» (كو 16:1)، «**فيه** يقوم الكل» (كو 17:1). «إله واحد الآب الذي **منه** جميع الأشياء ونحن **له**. ورب واحد يسوع المسيح الذي **به** جميع الأشياء ونحن **به**.» (1كو 6:8).

كانـت رسـالة الأب مـتى المسـكين كما دُونت في افتتاحية كتاب: "الكنيسـة الخـالدة" هـي عودتـنا إلى التعليم اللاهوتي، لأن المشاعر والعواطف المقدسة لا تكفي لقيادة الحياة المسيحية. ولعل أوضح مثال على هذا هو الترنيمة التي شاعت في كل الأوساط المسيحية في مصر: «احفظ حياتي ليكون تكريسها يا رب لك».

وهي وإن كانت كلمات جيدة تعبر عن صدق وأمانة ورغبة عارمة في الالتصـاق بالـرب، إلاّ أنهـا مثل غيرها من ترانيم تقوية مقدسة هي بلا مضمون لاهوتي. ولذلك جاء تأسيس "**بيـت التكريس**" في حلوان أولاً عام 1959، مشـروعاً لبعث الحياة الروحية الأرثوذكسية ووَضْعها على أساس لاهوتـي. وتـأمل أيهـا القارئ الفرق الكبير بين من يرنم ويقول: "احفظ حياتـي لـيكون تكريسـها يا رب لك"، وهو يدرك أن حياته محفوظة في المسـيح بسـبب اشتراك المسيح في طبعنا الإنساني، وبين مَنْ يندفع بقوة العواطف وحدها دون أن يدرك أن الرأس هو مصدر كل شيء.

ولذلك جاءت كتابات الأب متى المسكين كلها في اتجاه واحد: **اكتشاف الأسـاس اللاهوتي في الصليب وفي القيامة وفي العنصرة،** ثم اتجه بعد

ذلـك إلـى وضع شرح لأسفار العهد الجديد - وكما قلنا من قبل - زخم هـائل جـاء عـن قـناعة وإيمان بأن عودتنا إلى المسيح واكتشاف القوة الروحية التي حفظت المستويات النسكية والقداسة في الآباء والمعلمين هي وحدها التي تدفعنا جميعاً إلى ذات الاتجاه.

وهل تعرف أيها القارئ أن تعبير **«الحـياة الأبدية»** هو تعبير آخر عن نفس الحقيقة، أي **«الشركة في الطبيعة الإلهية»**؟ هذا هو الدليل:

الحياة الأبدية:

❖ «وأمـا الآن، إذ أُعتقـتم مـن الخطـية وصِرتُم عبيداً ، فلكم ثمركم للقداسة، والنهاية حياة أبدية، لأن أجرة الخطية هي موت، وأما هبة ا فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا.» (رو 6:22و23)

الشركة في الطبيعة الإلهية:

❖ «فـإن الحـياة أُظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانـت عـند الآب وأُظهرت لنا، الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكـون لكم أيضاً شركة معنا وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (1يو1:2-4)

استعلان قصد ا ونعمته:

❖ «الـذي خلصـنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصـد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية (قـبل كل الدهور - قبل تأسيس العالم - قبل كل أبعاد الزمان)، وإنما

أُظهـرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح، الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل (الخبر السار أو البشارة المفرحة).» (2تي 1:9-10)

وحتى لا نقع أسرى للعقلانية غير الملتزمة بالإنجيل، يقول الرسول عن ا : «رب الأربـاب الـذي **وحده له عدم الموت، ساكناً في نورٍ لا يُدنَى منه.**» (1تي 6:15-16)

فالحياة أُظهرت، وهي التي كانت عند الآب والتي نحن الآن نشترك فيها، حـياة لا تمـوت، ولذلـك حدثت قيامة الرب يسوع، حياة تُعطَى لنا بواسطة البشـارة، فـي المسـيح، لأن هذه «هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنتَ الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته.» (يو 17:1-3)

فالحياة الأبدية هي حياة ا نفسه وشركتنا في هذه الحياة هي شركة في ا نفسه، حسب كلمات الرسول يوحنا.

الحياة الأبدية هي حياة ا نفسه، وإذا لم تكن هذه شركة في طبيعة ا ، أي حياة ا ، فماذا تكون؟

الـنعمة تنازلٌ إلهي يمجد ا . وارتفاعها إلى كرامة المسيح يعظم ا . هكـذا يكتـب **القديـس إيرينيئوس** من القرن الثالث: [**مجد ا أن يحيا الإنسـان**]، ثم **القديس كيرلس الإسكندري** في القرن الخامس مؤكداً لنا أنه لا يوجد طريقان لإنكار المسيح بل يوجد طريق واحد يمجد الثالوث:

[هل ننكر طبعنا ونعلو متجهين نحو الجوهر الإلهي الفائق، وهل نخلع ™kb£llontej كلمة ا من بنوته ونجلس في مكانه مع

الآب؟ وهل سنجعل نعمته التي أكرمنا بها حجة للتجديف؟ حاشا أن يحدث هذا؛ بل بالحري الابن هو غير متغير حسب مقامه الإلهي، أما نحن فقد نلنا التبني وصرنا آلهة بالنعمة qeto^ dŸ ¹me‹j e„j ufÒthta ka^ qeo^ kat¦ [c£rin[11]

(راجع نفس التعليم عند القديس أثناسيوس الرسولي حيث يؤكد أننا يجب أن نؤمن بأن الابن ربنا يسوع هو بالطبيعة ابن ا ، أما نحن فأبناء ا بالنعمة – (ضد الأريوسيين 1:27-40 و2:261).

ولـم يتركنا الآباء نضرب في بيداء الفكر بلا دليل، بل قدموا لنا الكثير عـن مكانـة الإنسـان في المسيح. هذه المكانة نراها واضحة تماماً مثل الشـمس في رابعة النهار، في ناسوت الرب يسوع أي إنسانيته التي أخذها منا بواسطة والدة الإله.

أبناء بالنعمة:

يكتب معلمنا **القديس كيرلس الكبير** في كتاب: «الكنز» فقرة 32:س

[التبني والبُنوة كلاهما مختلف ، لأن الأبناء بالتبني ليسوا مثل الذي هو ابن الآب بالحق، لأنه مختلف عنا نحن الذين أخذنا **نعمة التبني،** لأن الابن بالحق لم يأخذ البُنوة ولا التبني بواسطة المماثلة أو التشبه

(11) شرح إنجيل يوحنا 1:9 - مجلد 1: 110-111.

Likeness بنا ، لأن هذا يعني أنه ليس الابن الحقيقي، أما نحن فإننا دُعينا للتمثل به بواسطة النعمة وبالخَلْق الجديد حسب قصده][12]

وأيضاً:

[نعترف نحن جميعاً أننا مخلوقون، أما الابن فهو مولود من جوهر ا الآب، أما نحن فمشابهون له لأننا ننال رتبة الولادة الجديدة حسب محبته، ولذلك ننال رتبة أبناء ا ، وننال هذا الإنعام، أو هذا المقام **¢x...wma** الذي يُعطَى لنا وهو من خارج طبيعتنا، ونصبح أبناءً بالتبني، مخلوقين من جديد حسب الابن الحقيقي، مدعوين إلى (شركة) مجد مَنْ هو الابن بالطبيعة][13]

فمـا هو المقصود بالشركة أو بالنعمة التي تُعطَى لنا وهي ليست من طبيعتنا؟

نعـود إلى ما سبق وقلناه، **إن الأب متى المسكين طرح علينا أول بند فـي اسـترداد التراث وهو العودة إلى اللغات الأصلية اليونانية والقبطية والعبرانـية، وهـو منهج الآباء، لاسيما آباء الإسكندرية**. ولذلك ما هو الاصـطلاح اليونانـي الذي يؤكد لنا أننا لن نكون **مساوين** للابن بل **مثل** الابـن رغم التشابه الواضح في معنى اللفظين العربيين، (أي المساواة – المماثلة)؟ وأول ما يجب أن نلاحظه هو اعتراف الآباء في القرنين الرابع والخامس، وهو ذات الاعتراف الذي سجلته لنا التسبحة السنوية عن الابن

(12) مجلد 73: 525.
(13) حوار عن الثالوث 2: مجلد 288:74.

له المجد:

أولاً: مساوٍ للآب حسب اللاهوت، فلا مجال لإنكار أزليته.

ثانياً: مساوٍ لنا حسب الناسوت وحسب التدبير، فلا يوجد مجال لإنكار حقيقة تجسده.

إذاً، نحـن مسـاوون للابـن حسـب الناسوت، لأنه حسب الاعتراف الأرثوذكسي الذي نردده في كل أسبوع:

[واحد من اثنين، لاهوت مساوٍ للآب، وناسوت مساوٍ لنا].

ولعـل كلمـة **"الاثنيـن"** هـي التـي ضـاعت في خضم الجدل مع النسـطورية، ولعـل الخوف من الاعتراف "بالرب الواحد من اثنين" هو الـذي يُخـيف من الكلام عن الشركة في الطبيعة الإلهية، أي نوال الحياة الأبديـة... ولعـل.. ولعـل... إلخ. كل هذه فروض واحتمالات نجد لها التـبرير عند غير المختبرين، أما عند المدربين من القادة والمعلمين (عب 12:5-14) فالأمر جد خطير يحتاج إلى الاحتراس، وإلا فسنجد أنفسنا هنا أمام مدخل غريب عن الأرثوذكسية وهو إنكار طبيعة تجسد ابن ا وإنكار التدبير بأعذار تُخفي حقيقة واحدة نراها في مجمل دفاع **القديس أثناسيوس الرسولي** عن نفسه وعن قانون الإيمان النيقاوي وهي: **هدم مكانة الإنسان كابـن**، مساوٍ (حسب التدبير) ليسوع الابن الحقيقي من جهة الناسوت، **لأن تعظـيم الإنسان في المسيح يقضي على كل أشكال القهر والاستبداد التـي يمارسـها البشـر على إخوتهم البشر**. وقد لمحها المؤرخ جيبون **Gibbon**، وجاهـر بهـا فـي عدائـه للمسـيحية، **ونراها في محاولات**

قسطنطين ومن خَلْفَه في مطاردة القديس أثناسيوس الرسولي.

إذ لو كان كل إنسان بسبب تجسد ابن ا   مساوياً من جهة الناسوت أو مثل المسيح، **فكيف نحكم وكيف نسيطر وكيف نمارس السلطان كل واحد منا على الآخـر، وكـيف نحب من نريد وكيف نكره من لا نريد، وكيف نتعامل مع الآخر الذي هو موجود في المسيح حسب كلمات الرب نفسه: "كنت جوعاناً وعرياناً ومسجوناً"** (مت 36:25)؟

❖ **إذ كـيف كان يمكن للإمبراطور قسطنطين أن يحكم شعباً يعتقد أنه مساوٍ لابن ا   من جهة الناسوت حسب التدبير؟**

والجـواب: **هو أن يصبح الإمبراطور هو وحده ظِل ا   على الأرض، وهـذا يستدعي تفكيك عقيدة الثالوث أولاً، ثم تفكيك والتشكيك في اتحاد اللاهـوت بالناسـوت في الرب الواحد، وثالثاً وأخيراً إنكار كل ما حققه الابن لنا نحن البشر، وذلك لكي يسود قهر الإنسان لأخيه الإنسان وتسود العبودية للبشر. وهذا هو سر عداء الإمبراطور قسطنطين لأثناسيوس.**

ما هي الشركة في اللاهوت من الخارج؟

اسـتخدم القديـس كـيرلس الإسكندري وغيره من الآباء الفعل والاسم اليونانـي **daneizomšnon** في أكثر من موضع في شرح الأصحاح الأول مـن إنجيل يوحنا، والفعل الأصلي هو **dane...zw** أي "يُقْرِض" (راجع قاموس الكلمات اليونانية لدى آباء الكنيسة لمؤلفه **G. Lampe**)[14]،

---

(14) Ed. G. W. H. Lampe, *A Patristic Greek Lexicon*, Oxford 1961, 1972, p 333.

أو "يُعطـي **مـنحة**" أو "يمـنح ما لا يمكن منحه" أو "أن يطلب الإنسان قرضاً"؛ وراجع قاموس الكلمات اليونانية.[15]

وهكـذا نحن ننال النعمة مثل "قرض" أو "منحة" أو حسب تعبير بولس الرسـول "**وديعـة**" تُعطَى لنا كشركة ولكن لا تحولنا إلى جوهر ا . لقد أخذنـا «**من ملئه**» حسب عبارة الإنجيل (يو 16:1). ولذلك يسأل **القديس كيرلس الإسكندري** (وكأنه يعيش معنا هذه الحقبة من تاريخ الأرثوذكسية):

[كيف يمكن للواهب **Giver** أن يصبح في ذات مستوى أو مكانة الذين يأخذون **be on a par with the recipients**؟][16]

والجـواب هـنا أننا نأخذ من «ملئه» و"نمتلىء" منه ولكنه يظل الابن الكلمـة الأزلي الذي نمتلىء منه. ومرة ثانية وكأن القديس كيرلس يعيش معنا وكأنه سمع الجدال حول المواهب والأقنوم، ولذلك يشرح نص إنجيل يوحنا 38:7 ويقول عن المؤمن بالمسيح:

[بواسطة الروح سوف يمتلىء (المؤمن) من المواهب، لا لكي يمتلىء قلبه فقط بل ولكي تفيض المواهب وتملأ قلوب الآخرين مثل النهر، هكذا عطية ا الصالحة تفيض على الآخرين أيضاً] (مجلد 1 : 688).

وهـنا نلمح ذات تعليم الرسول بولس لأن الروح الواحد والرب الواحد

---

(15) Liddel and Scott, *A Greek-English Lexicon,* Oxford 1996, p. 368.

(16) شرح إنجيل يوحنا 3:2 مجلد 1: 250.

يـوزع المواهـب كما يشاء، ولكنه يظل الروح الواحد، ولو أننا قلنا بأن المواهب غير الأقنوم، أي أن قوة الروح القدس غير الروح القدس، لتوَجبَ علينا أن نعترف بخطأين كلاهما مدمر ويقود للهلاك:

الخطأ الأول: فلأن المواهب لن تدوم في الدهر الآتي مثل التكلم بألسنة، الشفاء، طرد الشياطين، النبوة (راجع الأصحاح 12 من كورنثوس الأولى ومـا بعده)، فمعنى هذا أننا سنفقد علاقتنا با في الحياة بعد الموت، وهو عكس بشارة الحياة الأبدية؛

والخطـأ الثاني: هو أنه إذا كانت المواهب تعطينا **شركة في القوة** فقط حسـب تعليم "الفصل بين الأقنوم والمواهب"، وليست "شركة في المحبة"، فـإن الذين أخذوا القوة وتركوا المحبة فأخرجوا الشياطين وصنعوا قوات لاشـك سيسـمعون حكم الدينونة: «فحينئذ أُصرح لهم إني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم» (متى 7: 23)، فماذا أخذوا؟

الرأس والطريق:

يقول **القديس كيرلس الإسكندري** في شرح يوحنا 10:11:

[لقد جاء (الابن) وعاش بيننا عندما تأنس، ولم يفعل ذلك لأجل احتياج خاص به، ولكن لكي يعد لنا الطريق بواسطة نفسه وفي نفسه. أو هو الوسيلة والغاية، لكي تغلب الطبيعة الإنسانية الموت والفساد وتعود إلى عدم الفساد](17)

(17) مجلد 1: 726.

هكـذا ننال عطية الحياة وغَلَبة الموت مثل "قرض"، أي لا نتحول إلى لاهـوت بـل نظل بذات الطبيعة المخلوقة التي تنال الحياة الإلهية وسوف نـتجلى بهـا. ولذلك يجب أن نتذكر الكلمة اليونانية **¢x^wma** "رتبة"، "كرامة"، "مرتبة" (راجع قاموس **Lampe** ص 167-168)، فهي شركة حقيقية ولكن تحفظ لنا كياننا المخلوق.

ما هو خاص في المسيح ‡dioj:

تحدد الكلمة اليونانية **‡dioj** ما هو ذاتي، أي ما يملكه الشخص، ما هو خاص به، أو الصفات الذاتية، أو الطبيعة الخاصة. والأصل هو الفعل اليوناني **diopoišw„** = "ينال لكي يصبح مالكاً"، يأخذ لنفسه. وجاءت الصـفة ذات دلالة هامة وهي الكلمة **o„ke‹oj**. ولعل القارئ (المتعلم اليونانـية) لمح فيها فوراً أنها ذات الكلمة المستخدمة لوصف "المنزل" أو "مكـان الإقامـة الخصوصية" مثل المنزل (راجع قاموس **Lampe** ص 664-666 و937-938). وقد استخدم العهد الجديد كلمة **‡dioj** على الأقـل 114 مرة. وحتى لا نُتعب القارئ، فإن أوضح مثل هو قول الرب فـي يوحـنا 10:3-4، 12: "خـرافه **الخاصـة**". وأفضـل مـثل لكلمة **o‡keioj** هـو غلاطـية 10:6: "**بيـت** الإيمان". أو حسب الترجمة البيروتـية: «**أهـل** الإيمان». وكلمة «أهل» أضعفت المعنى، وفي أفسس 19:2: «أهل **بيت** ا ». ولكن المعنى الثابت لكلتا الكلمتين في 1تيموثاوس 8:5: «**خاصـته ولاسـيما أهـل بيته**». و«**الخاصة**» علاقة شركة فريدة وصميمية.

- **مـاذا قال القديس أثناسيوس ضد الأريوسيين الذين أنكروا اتحادنا**

با ؟

[الابـن له المجـد هـو ابن الآب الخاص ‡dion بالآب] (**القديس أثناسيوس**: "ضد الأريوسيين" 1:1).

ولذلك فالابن هو الكلمة **الخاص** بالآب (19:1) هو "مولود ولادة خاصة أزلية". ولذلك، هو ابن الآب على نحو **خاص** (29:1)، ولذلك السبب عينه الابن هو الكلمة الذاتي للآب أو الخاص بالآب LogÕj ‡dioj، وهو شعاع مجده. أما نحن فإننا نشترك في ا بسبب حلول الروح القدس فينا، وهـو ما يجعل اتحادنا با هو نعمة (23:3-24). والفقرة الأخيرة (ضد الأريوسيين 223:3) ذات دلالة لأن اتحادنا با هو، حسب عبارات قاطعة لا تحتمل التأويل، كُتبت ضد الأريوسيين وتقول لنا ما يلي، وهي عبارات يضعها **القديس أثناسيوس** على لسان الرب يسوع نفسه:

> [ربما قال الرب عنا: "كما أنك في وأنا فيك، ليكون الجميع مكملين"، ومتى سيحدث ذلك؟ يقول (الرب): "عندما يعرف العالم أنك أرسلتني، لأنني إن لم آتي وأُولَد وأحمل جسدهم فإنه ولا حتى واحد من البشر سوف يُكمل، بل سيبقى كل واحد في فساد الطبيعة" (راجع: "ضد الأريوسيين" 65:2).
>
> اعمَلْ فيهم أيها الآب، لأنك أعطيتني أن أحمل هذا الجسد، امنحْهُم روحك لكي بالروح يصبحون واحداً (راجع عبارة القداس الباسيلي: «لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً») ويكملون في، لأن كمالهم يعلن أن كلمتك قد حل بين البشر وأن العالم سيرى عند ذلك كمالهم وأنهم مملوؤون من ا qeoforoumšnouj. (راجع: "ضد

الأريوسيين“ 70:2).

لكي يؤمن الكل أنك أرسلتني وأنني أنا سكنتُ هنا (بين البشر) لأن في هذا هو كمالهم، ولكن لأنني أنا أيها الآب كلِمتُك، حملتُ جسدهم وتأنستُ، قد ”أكملتُ العمل الذي أعطيتني“، وقد أكملتُ العمل لأن البشر قد تم فداؤهم من الخطية ولن يبقَوْا بعد أمواتاً؛ بل تألهوا ونالوا جميعاً بما أعلنتُه، رباط المحبة أو شركة المحبة: **sÚndesmon tÁj ¢gapÁj**“].

وإذا قرأنا معاً فقرة 24، فسنجد **القديس أثناسيوس** يؤكد ما سبق وقلناه سابقاً:

[لقد قدم لنا (الأريوسيون) عبارات شريرة عندما شرحوا لنا الكلمات السابقة (أنا فيهم وأنت في...إلخ) وجعلونا نكتب أكثر مما هو ضروري.

ولكن يوحنا المبارك شرح لنا معنى الفقرة التي نحن بصددها في رسالته بدقة تامة تفوق ما يمكن أن نقدمه نحن من شرح. وشرح يوحنا المبارك يفند تفسير هؤلاء الذين بلا تقوى، ويعلمنا كيف نكون في ا وا فينا، وكيف نكون واحداً فيه، وكيف يختلف الابن عنا لأن له طبيعة (إلهية) غير طبيعتنا، ويصد فكر الأريوسيين بل يمنعهم من الادعاء بأنهم سيصبحون مثل الابن، لأن عنادهم سوف يجعلهم يسمعون: ”أنت إنسان ولست إلهاً“... ولذلك يكتب يوحنا: «بهذا نعرف أنه حال فينا وأننا نحن فيه لأنه أعطانا روحه» (1يو

13:4). لذلك بسبب نعمة الروح (القدس) الذي أُعطي لنا فقد صرنا فيه وصار هو فينا... وبسبب حلول روح ا فينا صرنا في ا وصار ا فينا].

ولـم يقف القديس أثناسيوس عند حد استنكار تعليم الهرطقة الأريوسية بل يقول بعد ذلك مباشرة:

[نحن لسنا في الآب مثل الابن، لأن الابن لا يشترك في الروح لكي يكون في الآب، ولا ينال الروح لكي يكون في الآب].

وواضـح هـنا أن عطـية الروح القدس لنا هي سبب شركتنا في ا وحلـول ا فيـنا. وهذا ضد تمزيق عمل ا وفصله إلى مواهب وأقنوم، ولكن الأهم من كل هذا أن الابن لا ينال **شركة في الآب من الخارج** مثلنا.

[ولا ينال الروح لكي يكون في الآب بل هو الذي يعطي الروح للكل، والروح لا يوحد **unite** الكلمة بالآب بل الروح يأخذ من الكلمة].

(راجع أيضاً نفس التعليم **عند القديس كيرلس الأورشليمي**: عظات للموعوظين 24:16 **والقديس إبيفانيوس**: ضد الهراطقة فقرة 67).

[لأن الابن في الآب، لأنه هو كلمته الخاص أو الذاتي وشعاع مجده؛ **أما نحن فإننا بدون الروح غرباء وبعيدون عن ا ولكن بالروح وبالشركة فيه نتحد (نلتصق) باللاهوت**، حتى أن وجودنا في الآب ليس وجودنا الذاتي بل هو وجود الروح الساكن فينا وبالاعتراف

المستقيم نحفظ (هذه العطية). لأن يوحنا يقول: «كل مَنْ يعترف بأن يسوع هو ابن ا ، يحل فيه ا وهو في ا »] (1يوحنا 15:4).]

ألا تكفـي هـذه الكلمات التي تفرق بين الوجود الخاص على مستوى وحدة جوهر الثالوث، وبين وجود النعمة حسب سُكنى الروح القدس الذي لا يعطي لنا ذات وجود الابن في الآب؟ ومع ذلك يقدم **القديس أثناسيوس** نفسه هذا السؤال بعد الكلمات السابقة:

[ما هي مشابهتنا ومساواتنا للابن؟ نحن لا نعترف بما يحاربه الأريوسيون من كل جهة، لأننا حسب ما ذكره يوحنا، الابن في الآب على نحو معين خاص، أما نحن ففيه على نحو آخر مختلف، ونحن لن نكون بالمرة مثله ولن يكون الكلمة مثلنا (في الآب) حسب وحدة الجوهر].

الوجود الخاص في الجسد

حسب شرح القديس أثناسيوس:

[عندما تجسد الابن وتأنس جعل الناسوت جسده الخاص به أو جسده الذاتي **diopoie‹tai„**].

وهـو مـا يجعـل القديـس أثناسـيوس يستخدم كلمة ”**Ôrganon** **أورجـانون**“, أي وسـيلة أو أداة، في أكثر من موضع في كتاب **”تجسد الكلمـة“.** فقـد حل الابن في جسده الخاص (فصل 8) كما سبق وأشرنا.

ومـع أن الابن غير مائت إلا أنه أخذ جسداً قابلاً للموت لكي يقدمه تقدمة خاصة به æj ‡dion لأجل الكل[18] (فصل 20).

هـذا الوجود الخاص للجسد، أو اعتبار الجسد أو الطبيعة الإنسانية هي خاصـة بالابن المتجسد، لم يجعل ناسوت الابن غريباً عنا أو قاصراً على الابـن وحده، رغم أنه هو ناسوته الذاتي والخاص به، وذلك لاعتبار واحد لا يجب أن يغيب عنا، وهو أن "الجسد" الذي هو جسد الابن الكلمة وجسده الخـاص، قـد **جعلـه واحداً منا ومعنا**. ولذلك عندما يقدمه على الصليب تصـبح هذه التقدمة هي تقدمة الابن عن[19] الكل أو لأجل الكل أي حاملة جسد الجميع في المسيح.

ونصـل هـنا إلـى **مفترق الطرق**، لأن التعليم الأرثوذكسي كما دونه القديـس أثناسـيوس والذي حاولنا تقديمه بكل ما نملك من دقة، يصل إلى عـنق الـزجاجة في مسألة واحدة لا نملك التفريط فيها <u>**وهي في مجملها رسالة قدس الأب متى المسكين وهي شهادة واعتراف الآباء:**</u>

1. لو كان الإنسان خالداً بالطبيعة لما سقط في قبضة الموت، ولكن موت الإنسان يؤكد أن خلود الإنسان وعدم موته هو **نعمة، وبالخطية**

---

(18) لـم يكتـب القديس أثناسيوس عبارة: "**نيابة عن الكل**" لأن هذا التعبير غير معـروف في اللغة اليونانية ودخل الترجمات العربية عن طريق الترجمات الأوروبية لاسيما الإنجليزية.

(19) لاحظ أيها القارئ أن حرف "**عن**" في اللغة العربية يعني لغوياً "**لأجل**". ولذلك إضـافة "**نـيابة عن**" هي إضافة أوروبية لا علاقة لها بفقه اللغة. والتفريق بين كلمة <u>"**عـنا**" و"**لأجلـنا**" هـو تفريق بين مفهومين وليس بين كلمتين: بين مفهوم النيابة بـالإبدال (نيابة عنا)، وبين مفهوم وجودنا وكياننا في المسيح (لأجلنا)</u>، كما شرحهما الأب متى المسكين في كتاب: «**الفدية والكفارة**» من سلسلة ألقاب المسيح.

فَقَدَ هذه النعمة.

2. لذلك لما سقطنا من الحياة الأبدية وطُردنا من فردوس النعيم (حسب كلمات صلاة الصلح)، جاء الابن وتجسد ومات وقام، لكي يمنح الإنسانية الثبات في عدم الموت والخلود بواسطة الشركة في اللاهوت أو لكي يرد لنا "نعمة الحياة الأبدية" ولا يجعل هذه النعمة عُرضة لخطر الضياع مرة ثانية كما ضاعت من آدم الذي جَلَبَ علينا حُكم الموت، بل ثـَبتها ا الآب بقوة اتحاد اللاهوت بالناسوت في الابن المتجسد، وبواسطة نعمة الروح القدس الذي يعطيه الابن لنا، **حسبما علم معلمنا أثناسيوس، وحسبما شرح الأب متى المسكين في أكثر من مقالة وكتاب.**

فقـد صـار الابـن هـو الضامن لبقاء النعمة **(راجع كتاب: "الخلقة الجديـدة" لـلأب مـتى المسـكين؛** وراجـع **القديس أثناسيوس**: "ضد الأريوسيين" المقالة الأولى: 47 الفقرة كلها مع 37:1).

3. لذلك أيضاً، **إن قيامتنا وحياتنا الأبدية مصدرها الأول والأخير قيامة الرب وعطية وشركة الروح القدس.**

تألُّه ناسـوت الـرب يسـوع المسـيح:

وبيـنما نحـن نـأخذ جسد المسيح ودمه الحقيقيين، نأخذه "كله" حسب صلواتنا وحسب شرح الآباء، ووقوفنا أمام قوة وحرارة الممارسة، **يجعلنا نجد أنفسنا أمام سؤال هام:**

✦ إمـا أنـنا نـأخذ جسـد الابن ودمه لحياة أبدية وقيامة من الموت ولغفـران الخطايـا والثـبات فيه، وأن هذا "الجسد المحيي" هو واهب الحياة، حسب كلمات التقوى الأرثوذكسية وحسب تعليم الآباء، وبالتالي تصـبح شـركتنا فـي الابـن المتجسد ليست شركة في ناسوت دون اللاهـوت؛ بل شركة حياة كاملة هي حياة الابن التي توهب لنا بالروح القـدس لكي نحيا ولا نموت، حسب صلوات القداس: "**اسمك القدوس هـو الـذي نقولـه، فلتحيا نفوسنا بروحك القدوس ولا يقوى علينا موت الخطية ولا على كل شعبك**" - القداس الإلهي.

✦ وبالتالـي: فإن الذي يجمع الرب بنا هو شركته في حياتنا بالتجسد، والـذي يجمعنا بالرب هو عطية الروح القدس. أما موانع الشركة مثل الخطية والموت، فقد أُبيدا معاً بالتجسد وعلى الصليب وبالقيامة. وهكذا نقـل الابن إلينا كل ما حدث لجسده من قوة ومجد وغلبة ليست هي من طبيعة الجسد ولا هي فيه، بل بسبب اتحاده بلاهوت الابن الكلمة.

وكـل هـذا محصـور في كلمة واحدة وردت عدة مرات في كل كتب الآبـاء، ولا يسـمح المجال بجمعها معاً، ولكن نكتفي بموجز صغير من القديس أثناسيوس؛

✦ وإما أن هذا كله بلا أساس، وباطل!!

تأله ناسوت الرب في كتاب: تجسد الكلمة:

قـبل أن نقدم موجزاً لنصوص القديس أثناسيوس يجب أن نضع سؤالاً هاماً أمام القارئ:

+ هـل ظـل ناسوت الرب كما هو، أي جسد طبيعي حُفظ من الخطية بسبب الاتحاد، ومن الموت بقوة الكلمة، ولم يحدث فيه أي تغيير؟

إن مـن يجيـب على هذا السؤال بالإيجاب ويقول إن الناسوت لم يأخذ شيئاً من اللاهوت يكون قد أنكر تجسد ابن ا - ربما عن حسن نية - كما أنكر الاتحاد وقضى على المعمودية والمسحة والإفخارستيا دون أن يدري، لأن عدم تغيير ناسوت الرب هو مساوٍ لإنكار الأسرار الكنسية. وهذه هي أقوال القديس أثناسيوس الرسولي من كتابه: **«تجسد الكلمة»:**

[أخذ جسداً من جنسنا ... أي الجسد من العذراء ليكون هيكلاً له وجعله جسده الخاص، متخذاً إياه أداة **Ôrganon** ليسكن فيه ويعلن ذاته به] (ف 3:8).

[رجع البشر إلى الفساد بالمعصية، ... ويعيدهم (الرب يسوع) إلى عدم الفساد ويُحييهم من الموت بالجسد الذي جعله جسده الخاص] (ف 4:8).

[بقي في عدم فساد بسبب اتحاد الكلمة به] (ف 1:9).

[وباتخاذه جسداً مماثلاً لجسد جميع البشر وباتحاده بهم فإن ابن ا عديم الفساد ألبس الجميع عدم الفساد بوعد القيامة من الأموات ولم يَعُد للفساد الناتج عن الموت أي سلطان على البشر بسبب الكلمة الذي جاء وسكن بينهم بواسطة جسده] (ف 22:9).

[أبطل الموت الذي حدث بسبب التعدي بتقديم جسده الخاص] (ف

(1:10).

[لأنه بذبيحة جسده الخاص وضع نهاية لناموس الموت... وصنع لنا بداية جديدة... وبالتالي نحن لا نموت بعد كمُدانين] (ف 5:10).

[ولكي يثبت أنه أقوى من الموت، أعلن جسده الخاص أنه عديم الفساد وأنه باكورة لقيامة الجميع] (ف 2:20).

[**موت الجميع قد تم في جسد الرب**... الموت والفساد قد أُبيدا بفضل اتحاد الكلمة به] (ف 5:20).

[نحن الذين حَمَلْنا (المسيح) في جسده الخاص. لأنه كما قدم جسده للموت عن (وليس نيابة عن) الجميع، هكذا بنفس هذا الجسد أيضاً أعد الطريق للصعود إلى السماء] (ف 6:25).

هل يكفي هذا؟ نعم، لأن كل ما سبق يندرج تحت كلمة واحدة هي: أن الرب يسوع جاء، كما يقول معلمنا الكبير، لكي يؤلهنا:

[لأن كلمة ا   صار إنساناً

لكي يؤلهنا نحن] (ف 3:54).

ويؤكد ذلك المعنى وذات الإيمان بأن الجسد بعد القيامة، التي هي ذات قيامة الرب، صار "غير قابل للألم والفساد": «إن الرب حفظ هذا لأجلنا» (ف 3:4). هـذا أحـد جوانب التأليه أو الشركة في الطبيعة الإلهية بسبب تجسد الابن.

تأله ناسوت الرب في كتاب: المقالات الأربع ضد الأريوسيين:

أتعجـب أحياناً وأنا أقرأ آباء الكنيسة، لأنني أحس بأنهم معنا روحياً بل والعجـب حقّـا في أنهم يجيبون على ما يدور عندنا الآن من أسئلة. يقول المزمور: «أنا قلت إنكم آلهة» (مز 6:82). ويكتب معلمنا **أثناسيوس** نفس نـص المـزمور لكي يؤكد ألوهية الابن بالطبيعة وألوهيتنا نحن بالنعمة، وكأنه كان يعرف مسبقاً بالهجوم على الشركة في اللاهوت:

[ابن الآب الحقيقي... ليس مخلوقاً بل هو مولود من ذات جوهر الآب، إله حق، مساوٍ في الجوهر للآب (أو من ذات الجوهر)، بينما غيره نالوا هذه النعمة من الآب وحُفظ بالشركة في الكلمة بواسطة الروح] (9:1؛ راجع 15:1؛ والشركة في الطبيعة الإلهية 16:1).

[لم يكن إنساناً ثم صار إلهاً بعد ذلك، ولكن كان ا الذي تأنس لكي يؤلهنا نحن] (39:1).

[كل المدعوين أبناء وآلهة سواء على الأرض أو في السماء، قد نالوا التبني وتألهوا بواسطة الكلمة] (39:1).

[أعَد له ا الآب جسداً مخلوقاً - كما هو مكتوب - لكي فيه نتجدد ونؤله] (47:2).

[وأيضاً وبالإضافة إلى ما سبق، لقد أخذ جسداً مخلوقاً وجدده لأنه

الصانع، ولكي يؤلهه في ذاته وذلك لكي يقدمنا جميعاً إلى ملكوت السموات كما قُدم هو (حرفياً: "حسب مثاله"] (69:2؛ راجع صلاة القسمة: «رفع قديسيه إلى العُلا معه، أعطاهم قرباناً لأبيه»، ثم بعد ذلك: «فليضئ علينا نور معرفتك الحقيقية، لنضئ بشكلك المحيي»).

ولعـل أبلـغ وأسهل ما قاله **القديس أثناسيوس**، ويدرك حلاوته الذين يسلكون حسب الروح، هو ما جاء في المقالة الثالثة:

[كان لائقاً أن الجسد الفاسد لا يبقى حسب طبيعته فاسداً وميتاً، ولكن لأن الكلمة لبسه فقد ثبت في عدم الفساد، وكما أنه جاء إلى جسدنا وقَبِلَ كل ما فيه وصار مثلنا؛ فإننا نحن بدورنا عندما نَقْبَله، نشترك في عدم موته (خلوده) الذي هو منه (أي عطية لنا)] (57:3؛ راجع أيضاً فقرة 58:3؛ راجع أيضاً 4:7-17)

تألُّه ناسوت الرب والأسرار الكنسية:

من أجل الاحتفاظ بجوهر ما نكتب، سوف نطبق على الأسرار الثلاثة: المعموديـة، ومسـحة الميرون، والإفخارستيا. لو أننا اعتقدنا بأن ناسوت الرب يسوع المسيح ظل كما هو مثل طبعنا الإنساني بلا تغيير، فإن إعلان تجلـي الرب على جبل طابور، يفضح هزالة فكرنا وضحالته، ولو قلنا إنه كان في علاقة أدبية مع أقنوم الابن الكلمة، لعُدنا إلى هرطقة نسطور الذي أنكـر الاتحاد. وفي زمان **القديس كيرلس الإسكندري** كانت كلمة "علاقة" أو "رابطة" كلمة بريئة ولكنها تحولت إلى إنكار مُطلق لتجسد ابن ا . فقد أبـرز نسـطور هـذه الكلمـة **sun£feia** لكي يفصل بين اللاهوت

والناسـوت، ورفض كل ما يمكن أن يؤدي إلى اتحاد اللاهوت بالناسوت، أي **nwsij**<. ورَفْـض الاتحـاد يقضـي علـى الأسرار كلها، لاسيما الأسـرار الثلاثة التي سبق وأشرنا إليها. عندما أله الرب يسوع الناسوت فـيه، ودعانـا لكـي يؤلهنا نحن، أي لكي يعطي لنا كل ما أخذته الطبيعة الإنسـانية التي أخذها من العذراء، أعطانا ميلاداً جديداً مثل ميلاده ولكن مـن المـاء والروح، وأعطانا شركة في مِسْحته، وأعطانا غفران الخطايا والوعـد بالقـيامة وميراث السماء، وكل هذا تجمعه كلمات تبدو متباعدة ولكـنها كلهـا تشير إلى حقيقة واحدة، وهي: **"التبني"، "الحياة الأبدية"، "ملكـوت السموات"، "الشركة في الطبيعة الإلهية"**، وغيرها من كلمات وردت فـي الأسـفار المقدسة نفسها، وتحولت إلى قبْس من نور استعلان ربنا يسوع المسيح.

تأمل أيها القارئ طريقتين للاحتفال بمعمودية الرب في الأردن:

الأولى: أن نعيد عيداً روحانياً نستمد منه تجديد مسحتنا مع المسيح وفي المسـيح ونمتلئ من قوة الروح القدس ونحيا معه وبه بقوة وسُكنى الروح القدس فينا، وبتقديس مياه اللقان نرى بداية تجديد الكون؛

الثانية: أن نكتفي بأن نمدح تواضع الرب - وهو تواضع حقيقي ويجب أن يُمـدح - وأن نمجـد الـثالوث في صلواتنا ... وأما أن ما حدث في الأردن ومـا أُعلن يُغير شيئاً من علاقتنا با ، فهذا لا نفكر فيه ولا نطلبه ولا نَدخْـل له بحياتـنا ... ثـم نكتفـي بجزء من الماء المقدس "للبركة" للاستعمال الشخصي.

الطريقة الأولى: هي التقوى الأرثوذكسية الصحيحة - أو حسب تعبير

الأب متى المسكين، دخول خط نار الإعلانات الإلهية، أي التقديس، فالماء يحمل لنا قوة معموديتنا ومِسْحتنا نحن في المسيح وضمان هذه المسحة. ولذلك السبب وحده نُشرت دراسة موجزة عن معمودية الرب في أقوال القديسَيْن أثناسيوس وكيرلس في مجلة مرقس عدد فبراير سنة 1975، مساهمة في العودة إلى الحياة الأرثوذكسية وكانت سعادتنا بالغة عندما نشر غيرنا ذات الدراسة[20].

أما إذا ظل ميلاد الرب في بيت لحم أو معموديته لا يمس حياتنا، ومجرد ذكرى عقلية لحدث تاريخي قديم، ومجرد احتفال بما حدث وانتهى، فإن كلمات الرسول بولس تصرخ عالياً: «يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد» (عب 13: 8).

والآن، ما الذي حدث في ناسوت الرب؟

لقد تغير ناسوت الرب لأنه وُلِدَ من الروح القدس بدون زرع بشر، ولذلك، ولأن ميلاده جاء بميلاد جديد لنا يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي:

[كل مَنْ لا يؤمن بأن القديسة مريم هي والدة الإله، فقد فصل نفسه عن اللاهوت **he is severed from the Godhead.**].

---

(20) R. Wilken, *Judaism and Early Christian Mind: A Study of Cyril of Alexandria,* 1971.

Daniel A. Keating, *The Baptism of Jesus in Cyril of Alexandria: The Re-Creation of the Human Race*, Pro-Ecclesia 8, 1999, pp 201ff.

(الرسالة إلى كليدونيوس **Cledonius** كاهن كنيسة نزينـزه حوالي عام 383، رسالة رقم 101 مجموعة الآباء اليونانيين مجلد 37: 176 وبعده)

[كل مَنْ يخترع فكرة عن ابنين، الأول هو ابن ا والثاني هو ابن أمه (مريم) ويرذل الاتحاد وخصوصيته، سوف يفقد ميراثه من التبني أي الميراث الذي وُعِدَ للذين لهم إيمان مستقيم.] (المرجع السابق)

[كل مَنْ يدعي أن (المسيح) الآن قد ترك جسده المقدس وأن اللاهوت قد خلع الجسد، أو ينكر أنه الآن بدون جسده الذي سوف يأتي به (في يوم الدينونة)، فليُحرم هذا الإنسان من مجد مجيئه، لأنه أين هو جسده الآن؟ إنه هو في الذي أخذه.] (المرجع السابق)

مـا هـو السبب في هذه العبارات القاطعة بل والتهديد بفقد كل شيء؟ والجواب كما قدمه القديس غريغوريوس نفسه:

[كل ما لم يأخذه (المسيح) فلم يُعطه (المسيح) الشفاء، وكل ما اتحد باللاهوت قد خلص For what He has not assumed He has not healed; but that which is united to his Godhead is also saved].

راجـع ترجمة النص مع دراسة شاملة للأب الأرثوذكسي **John A. Mc Guken** بعنوان:

St Cyril of Alexandria, *The Chronological Controversy*, E.S. Bill, 1994, pp.

391 ff.

وطالمـا إننا في مجال سرد مقاطع من القديس غريغوريوس اللاهوتي فإن عظة القديس غريغوريوس عن المعمودية المقدسة هي عظة قيلت في عـيد معموديـة الـرب يسـوع، **فـيها يـربط بين الميلاد في بيت لحم والمعمودية في الأردن** (وهذا هو منهج آباء الكنيسة في الربط بين أعمال المسيح وأفعال الخلاص):

> [اليوم عيد الثيئوفانيا أو الميلاد، لأن العيد له اسمان حيث أعلن ا ذاته للإنسان بالميلاد].

وسـوف نرى في المقالة 40 كيف أن ميلاد الرب يسوع من العذراء، يحـول ميلادنا الجسداني. ولعل أكبر خطأ وقعت فيه الكنائس الغربية في العصر الحديث هو تحويل تجسد الرب يسوع واتحاده بنا إلى "عيد ميلاد". وارتـبط هذا بالاحتفالات بأعياد الميلاد، وضاع معنى "الثيئوفانيا"، وضاع اتحاد اللاهوت بالناسوت. وأصبحت مغارة بيت لحم من الورق أو أي مادة أخـرى وتماثيل خشبية ... إلخ هي لُب وجوهر الاحتفال. **وكان الأب متى المسـكين هو أول مَنْ أشار إلى ذلك في محاضرة يتيمة في مدرج الكلية الإكليريكية عام 1957م ومثلها في مقالة: "الإبيفانيا: عيد الظهور الإلهي أو عـيد الأنوار" نُشرت في مجلة مرقس عدد فبراير عام 1970 ثم في كـتاب أعياد الظهور الإلهي صفحة 348 الطبعة الثالثة.** وضاع التحذير بسـبب ضـعف التعلـيم بل والخضوع التام لتيار روحي مدمر وافد من الغرب.

وفـي المقالة 40 وهي عظة 6 يناير (عيد الإبيفانيا - الظهور الإلهي)

فـي القسـطنطينية سـنة 381 وفي الفقرة 2 يقول المعلم العظيم القديس غريغوريوس اللاهوتي:

[لأجلنا قَبِلَ الكلمة **ثلاث ولادات** **Three births** الميلاد (الأول): طبيعي "من العذراء"، (الثاني): المعمودية "في الأردن"، (والثالث): القيامة (من الأموات). الأول حدث في الليل؛ والثاني بالنهار وفيه تم القضاء على الشهوة وشق حجاب الميلاد الطبيعي لكي يكشف لنا نحن الحياة السامية؛ والثالث رهيب جدا وتم في وقت قصير، وفيه وفي لحظة وقف الجنس البشري أمام خالقه ...

لقد أعلن ربي يسوع المسيح إكرامَه **للولادات الثلاثة** عندما قَبِلَها في أقنومه ...

لقد وُلِدْتَ يا رب لأجلنا، وكانت معموديتك ولادة ثانية لنا. ولذلك السبب ذكرت عدة مخطوطات قديمة للإنجيل أن صوت الآب السماوي كان: «هذا هو ابني الحبيب ... أنا اليوم ولدتُك» (مت 3: 17)، (مر 1: 11)، (لو 9: 35)، (مز 2: 7)].

لقد تغير جسد الابن كما سنرى فصار "**الجسد المُحيي**" الواهب الحياة، وتطـوع باحـث من إثيوبيا ليكتب رسالة عن "***الجسد المحيي***" في جامعة أوبسالا بالسويد:

E Gebremedhim, *Life-Giving Blessing*: *An Inquiry into the Eucharistic Doctrine of Cyril of Alexandria*, Uppsala 1977.

وقدمـت الكنيسة اللوثرية في السويد 7 نسخ مجاناً من هذا البحث لعدة جهات في كنيستنا القبطية.

ولعـل القارئ قد حصل على نسخة من الترجمة العربية لشرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس وبالذات الأصحاح السادس فهو كافٍ.

ولكـن التعبير: **"الجسد المحيي" و"الدم المحيي"** لا يكفي للتعبير عما أخذنـاه، بل أخذنا حياة الابن نفسه فهي لم تكن حياة وُهبت من فراغ، بل وُهِبَـت لتحفظ في الشركة الذين يؤمنون. ولذلك كان من الضروري لمن يـنال حياة الابن أن يدرك ما حدث لناسوت الرب نفسه إذ قد صار عديم المـوت، "حي ومُحيي"، ولكن الأهم هو أنه كما يقول **القديس كيرلس** في عبارة تلخص الإيمان بالرب يسوع المسيح، إنه بسبب تأنسه صارت "حلقة الوصـل **meqÒrion**" التـي تغرس فينا معرفة شخصية وليس معرفة سـطحية، لأن المعرفة الشخصية تُولد، وإذا هي لم تنشأ من الشركة فهي تكون معرفة الهالكين كما قال المسيح لأصحاب المواهب: «إني لم أعرفكم قط» (راجع: مت 7: 23).

أما نحن فإن معرفتنا بالرب يسوع هي معرفة اختبارية مصدرها الأول هـو **الطبـيعة المشتركة،** أي الإنسانية التي أخذها الرب، ولأن له طبيعة مشـتركة مع الآب والروح القدس، فإن علاقتنا بالرب لم تكن هي علاقة شخصـية فحسـب بل علاقة خاصة. لأن الرب هو أقنوم واحد من اثنين، يقـرب ا من الإنسانية ويقرب الإنسانية من ا ، ويجمع الاثنين معاً في أقنومه الإلهي المتجسد (راجع: شرح إنجيل يوحنا مجلد 2: 84).

❖ **ولذلك فالتغير الذي حدث لناسوت الرب هو ذاته الذي يحدث لنا، وهذا**

ليس فكراً عقلياً مجرداً يُتوهم بل اختبار حي.

ولعـل القـارئ الـذي قرأ بدقة الرسالة الثالثة إلى نسطور وقف عند العبارة التي يقول فيها **القديس كيرلس** عن الإفخارستيا:

[نحن لا نقبل (نتناول) هذا كجسد إنسان مثلنا، حاشا ، أو كجسد إنسان تقدس بالاتصال بالكلمة واتحد به في كرامته، أو كجسد مَنْ حَل فيه اللاهوت؛ لا، بل نقبل الجسد **المُحيي بالحقيقة، الخاص** بالكلمة نفسه، ولأنه إله، فهو حياة (من طبيعته الحياة) .... **æj xwopoiÕn ¢lhqîj kai „d^an aÙtoà toà LÕgou]**. وهي أقوى ما يمكن أن يُكتب، وهي ذات الكلمات التي يرددها القديس كيرلس في الفصل الحادي عشر (وتُعرف في الغرب فقط باسم الحروم الاثني عشر)

تألُّه ناسوت الرب في الفصل الحادي عشر ضد نسطور:

[كل مَنْ لا يعترف بأن جسد الرب **مُعطي الحياة** وأنه **الجسد الخاص بكلمة ا** ... لأنه **جسد الكلمة الخاص** الذي له القوة التي تُحيي الكل. فليكن أناثيما. الجسد الخاص **„d…a s£rx** هو ذات الجسد في الإفخارستيا].

"زواج المسيح بالكنيسة"

الأصالة الأرثوذكسية لمقالة "العريس"

كانت هذه المسيرة الطويلة من أجل تأصيل عبارة واحدة **"مسقط رأس البشـرية المفـتداة"**، ولشـرح اتحاد اللاهوت بالناسوت الذي هو أساس حياتنا الأرثوذكسية؛ ولكن لا يمكن أن نقف عند حد الدفاع عن مقدساتنا.

والآن نسأل هذا السؤال التمهيدي:

❖ مـا هـو زواج المسيح بالكنيسة حسب التسليم الرسولي الآبائي؟ ولماذا يدافع عنه ويشرحه قدس الأب متى المسكين؟

في العهد القديم:

كـان ا "يدبـر لإعـلان" العهد الجديد ومجيء الابن الكلمة بالجسد، ولذلـك جاءت نبوة هوشع تؤكد ما سوف يُعطَى لنا، لأن ا الذي "خَطَبَ" شـعبه يقول: «ويكون في ذلك اليوم، يقول الرب، إنكِ تَدْعينني رَجُلي ولا تَدْعيننـي بَعْلـي (سيدي). وأقطع لهم عهداً ... **وأخطُبُكِ لنفسي إلى الأبد ...**» (هـو 2: 16 - 20). ولمـا عـادت الوثنية ودخلت عبادة الشعب، أعطـى الـرب «كتاب طلاق لشعب إسرائيل» (إر 3: 6 - 11). ولكن مراحم الرب لا تنقطع. ولذلك يعود الرب نفسه ويعطي أُورشليم (في نبوة حزقـيال أصـحاح 16 كلـه) الاغتسال من **"الزنا الروحي"** وكيف يرد

لأورشليم زينة فائقة جميلة.

أمـا العبارات الخاصة بالزواج والتي ستدخل العهد الجديد وكل كتابات الآباء، فهي أناشيد إشعياء النبي:

+ «فـرحاً أفـرحُ بالرب ... ألبَسَني ثياب الخلاص، كسَاني رداءَ البر مثل عريس ... ومثل عروس تتزين بحليها.» (إش 61: 10 - 11)

وكلمـات إشـعياء هي صدَى لمزمور 45 الذي سوف يشكل بعد ذلك الكثير من صلوات الليتورجية بل والطقوس مثل: تقديم البخور لوالدة الإله الملكـة. وفي العهد القديم كانت تدخل أناشيد سفر النشيد في قلب احتفالات الشـعب فـي يوم الكفارة وفي الأعياد الأخرى وفي الزواج بل وفي دفن الموتـى، لأن جمال خليقة ا ودخول الرب في شركة زواج هو المحور الأساسـي الـذي نحـتاج إلـى دراسته بشكل مطول، لا سيما في عظات أوريجانوس وغريغوريوس النيسي على سفر النشيد.

وفي العهد الجديد:

لـم نـتوقف إلا قلـيلاً أمام بدايات العهد الجديد في العهد القديم لضيق المجال، ولكن في الأناجيل، وبشكل خاص إنجيل مرقس (2: 18 - 20)، وإنجيل متى (9:14-17)، وإنجيل لوقا (5:33-39) يظهر لنا فيها إعلان الـزواج الإلهي. **فالرسل** هُم «بنو العُرس» (مر 2: 19) **و«بنو العُرس»** هُم حرفياً: **”بنو مخدع الزوجية“،** أي أهل البيت وهم ليسوا مثل **«صديق العريس»** يوحنا المعمدان. وقد شغل الزواج الإلهي مكانة بارزة في أمثال الرب يسوع، **وشرحها بكفاية الأب متى المسكين في شرح إنجيل مرقس**

وإنجيل لوقا (راجع: لو 14: 7 - 11، ولو 22: 24). وجدير بالملاحظة أن «ابـنة صهيون» (مز 45: 3 و5) هي ابنة صهيون التي سوف تستقبل الـرب يسوع في أحد الشعانين (مت 21: 5 - زك 9: 9). وفي المزمور هـي العـروس، وأُورشـليم التـي جاء الرب لكي يخطبها ويملك عليها (**القديس ساويرس الأنطاكي** - العظات 20 - الآباء الشرقيين **Patrologia Orientiale** مجلد 37: 51).

العـشـاء الـسـرِّي والـزواج الـسـرِّي Mystical

نحـتاج لدراسة شاملة عن موضوع "العهد" لأن "إسرائيل" **هي زوجة "عهد الرب"،** كما مر بنا في نبوة هوشع. وفي عِلية صهيون أُعد العشاء، وقدم الرب مَثَل **"الكـرمة الحقيقية"،** «اثبتوا في»، (يو 15: 4)، **والكرمة هـي مـثال للـزوجة الفاضلة** في مزمور 128 وهي **مثال أيضاً أو رمز لإسـرائيل** (مز 80: 8 - 14، إش 5: 1 - 7، إر 2: 21، هو 10: 1، مـت 21: 33 - 41). ويُعضـد هـذا الاتجـاه عبارات سفر الرؤيا عن **"عُـرس الحَمَل" «وعشاء الحَمَل».** ونحتاج أيضاً إلى دراسة مطولة عن زواج الرب بالكنيسة، حسب التعليم الرسولي الذي سلمه إلينا القديس بولس الذي جمع آدم الأول (رو 5: 14 - 21) وآدم الأخير (1كو 15: 22 وما بعده)، ثم خطبة الرب للبشر (2كو 11: 2 - 3)، وكما قال بولس الرسول إنـنا «**لحم من لحمه وعظم من عظامه**» (أف 5: 30)، وهي عبارة قالها آدم أيضاً عن حواء (تك 2: 23)، فصارت الآن لنا عن الرب يسوع الذي **«أخـذ الـذي لنا وأعطانا الذي له»،** وهو ما جعل **القديس أوغسطينوس يصف بولس "بصديق العريس"** (الاعترافات الكتاب 3: 14).

ومـا شرحه الأب متى المسكين عن الكنيسة جسد المسيح والعريس يكفـي، ولا يحـتاج إلـى دفاع عند الذين استناروا بالتعليم وبنور الروح القدس، وبالإضافة إلى كتاب "الراعي" لهرماس: الرؤيا 1: 4 - 2: 4، 3 : 2 - 3، 3: 10)، وأقـدم نقـش مسـيحي علـى قـبر **Abercius** مـن هيرابوليس[21]، و"المربي" 1: 6 لكليمندس الإسكندري، والعلامة ترتليان، وشـرح وعظـات أوريجانوس على سفر النشيد، وأيضاً ذهبي الفم (وكل هـؤلاء تكلمـوا عـن العريس والعُرس وزواج الرب من الكنيسة)، فإننا نـتوقف عند **القديس أوغسطينوس، لأن ما كتبه أوغسطينوس يكفي كأنه قـد قـرأ وسـمع مـا يحـدث عندنا.** وسوف نقدم موجزاً لشرح القديس أوغسطينوس لرسائل القديس بولس الرسول:

[ماذا تسمعون من الرسول؟ الآن أنتم جسد المسيح وكل منكم عضو خارجي فيه ... هو يتحد بزوجته أي الكنيسة ... لهذا ليسا بعد اثنين بل جسداً واحداً.] (عظة 51: 7)

[عندما نام آدم خُلقت (كُونت) حواء، وعندما مات المسيح كُونت الكنيسة. عندما نام آدم كُونت حواء من جَنْبِه، ولما مات المسيح طُعن جنبه بالحربة ومن جنبه نَبَعَت الأسرار التي تكون الكنيسة.]

(شرح يوحنا 2: 11، عظة 9: 10، وعظة 15: 8، شرح مزمور 31:

---

(21)نشـــر الـنص:

Lightfoot, *Apostolic Fathers*, part 2, vol 1 pp. 469 - 80

11، وعظة على مزمور 35)

ونموذج الاتحاد كما يشرحه القديس أوغسطينوس هو ثلاثة نماذج:

[أعطانا الرسول أن نعرف ثلاثة أنواع من الاتحاد: المسيح والكنيسة، الزواج والزوجة، الجسد والروح.] **(De Continentia 23)**

1 - زواج المسيح بالكنيسة في سر الإفخارستيا:

[ماذا يقول المسيح عن العروس، وإذا عرفت ماذا يقول، ومَنْ هو العريس، ومَنْ هي العروس، لا تتأخر في حضور الزواج، لأن كل احتفال هو احتفال بالزواج، وزواج الكنيسة يُعلَن، ابن الملك يتزوج وابن الملك هو أيضاً ملك والذين يحضرون العُرس هم العروس ... لأن الكنيسة هي عروس المسيح التي كانت بدايتها وباكورة الثمار هي جسد المسيح الذي فيه اتحدت العروس بالعريس في جسد (واحد). وحقّا ولسبب مقدس أخذ هذا الجسد عينه لأنه "كَسَرَ الخبز". وعندما "كسر الخبز" انفتحت أعين التلاميذ وعرفوه]

(عظة على رسالة يوحنا الأولى 2: 2 في شرح يوحنا الأولى 2: 12 - 17)

[هذا هو مضجع الزواج الطاهر، لأن المزمور يقول «أدْخَلَني الملك إلى مخدعه». هذا هو السر. **أما الذين تنجسوا فهؤلاء لا يدخلون**

المخدع ...] (عظة 83: 7)

2 - الزواج الذي تمَّ في رحم البتول والدة الإله:

عـندما كسر الأب متى المسكين سلاسل الفكر التي قيدتنا بفكر العصر الوسيط التي لم تأخذ من ينابيع الآباء، كان الماء الذي قدمه لنا عذباً ولحياة الذين يشتاقون بقوة الروح القدس إلى «رئيس الحياة» الرب يسوع المسيح.

وهنا سوف نكتفي بموجز لعظة القديس أوغسطينوس على مزمور 45 (44) وهـي فـي المجلد الثاني الذي يحتوي عظات القديس أوغسطينوس على مزامير 33 – 50. نُشر النص كاملاً في 5 مجلدات بعنوان:

St. Augustine, *Expositions of the Psalms*, translated and ed. by: Maria Boulding and John E. Rotelle, New City Press, USA, 1999.

وإليك هذا النص:

شـرح مزمور 44 – عـظـة أُلـقـيت فـي الـكـاتـدرائـيـة بـعـد تـرمـيـمـهـا فـي 2 سـبـتـمـبر سـنـة 403:

[لقد رتلنا بابتهاجٍ المزمور معكم، والآن أرجوكم أن تدرسوا هذا المزمور معنا لأنه مزمور عن زواج مقدس، زواج عريس بعروسه، الملك والشعب، المخلص والذين سوف يخلصون ... وعنوان

المزمور هو "للنبي قورح". وبلا شك عاش هؤلاء في الحقبة السابقة من التاريخ. وعنوان كل مزمور في الأسفار المقدسة يدعونا إلى الانتباه حتى لا يسمع الذين يحبون السماع لمجرد السماع بل أن ينتبه الفكر، لأن معنى الكلمة العبرانية "قورح" هو: "أبناء الأصلع". ولا يدعونا هذا إلى الضحك حتى لا نكون مثل الأطفال الذين عيروا أليشع النبي ... بل أن نعود إلى طفولة يطلبها المسيح لأننا أطفال العريس ...] (صفحة 280 و281)

وبعـد هذه المقدمة التي تعكس قبساً من قلب أوغسطينوس عن مزمور الـزواج، يشرح أوغسطينوس في الفقرة: "على عنوان المزمور": العنوان الكـامل للمـزمور هـو الأمور التي يجب أن تتغير، لأبناء قورح، لطلب الفهم، نشيد للمحبوب.

[هذا "**المحبوب**" رآه الذين اضطهدوه دون أن يفهموه لأنهم لو عرفوه «لما صلبوا رب المجد» (1كو 2: 8). ولكنه طلب معرفة وفهماً مختلفاً عن الذين رأوه عندما قال: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو 14: 9)، ليرتل المزمور نفسه له؛ **ولنفرح نحن بزواجه ولنكن مع الذين لأجلهم صنع هذا العُرس، لأننا دُعينا إليه، ولأننا رغم أننا المدعوون إلا أننا نحن العروس، لأن الكنيسة هي العروس، والمسيح هو العريس. ومن العادات المرعية أن يكون للعريس أغاني مناسبة ينشدها الحاضرون للعريس والعروس معاً.** هذه الأغاني تسمى باسم أغاني الخِدْر (أو مخدع الزوجية) **epithalamia** وهي مخصصة لتكريم العريس والعروس. وإذا سألنا أين هو مخدع الزوجية **Thalamus** في هذا الزواج بالذات الذي

دُعينا نحن إليه؟ حسناً، هذا هو الرد والإعلان، يقول مزمور آخر «نَصَبَ خيمته في الشمس وهو مثل العريس الخارج من خيمته» (مز 19: 5 حسب النص اللاتيني الذي يقرأ منه أوغسطينوس)، **لقد تم اتحاد الزواج بين الكلمة والناسوت. والمكان الذي تم فيه هذا الاتحاد هو رحم العذراء**، الجسد هو حقّا الجسد الذي اتحد بالكلمة - كما يقول الكتاب - وليسا بعد اثنين بل جسد واحد (انظر: مت 19: 6، مر 10: 8، أف 5: 31). لقد أُخِذت الكنيسة من الجنس البشري لكي يصبح الناسوت الذي اتحد بالكلمة هو رأس الكنيسة ونحن المؤمنين نصبح الأعضاء الخاصة بهذا الرأس.

هل تريد أن تعرف مَنْ الذي جاء إلى العُرس؟ «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند ا ، وكان ا الكلمة» (يو 1: 1)، لتفرح العروس لأنها صارت محبوبة من ا . ومتى أحبها ا ؟ عندما كانت قبيحة، لأن الرسول يقول: «الكل أخطأوا وأعوزهم مجد ا ». وأيضاً: «مات المسيح من أجل الفُجار» (راجع: رو 3: 23، 5: 6). لقد أحبها بقُبحها لكي لا تبقى قبيحة، هو لم يحبها لأنها قبيحة، لأن قُبحها ليس هو سبب محبته، لأنه لو كان قُبحها هو سبب محبته لبقي قُبحها، ولكنه حقّا جددها للجمال وأزال قُبحها منها.] (المرجع السابق صفحة 282 و283)

والـذي لا يستطيع الحصول على الترجمة الكاملة لشرح سفر المزامير للقديـس أوغسـطينوس يمكـنه أن يقرأ ذات التعليم في العظة 1: 2 على إنجيل يوحنا.

[مخدع الزوجية هو رَحَم العذراء لأنه هناك صار الاثنين واحداً العريس والعروس، الكلمة والناسوت، الكلمة صار جسداً وسكن فينا، اتحد المسيح بالناسوت وهكذا صار المسيح كله، الرأس والجسد].

[**اتحدت العروس به في رحم العذراء،** لأن الكلمة هو العريس، والجسد الإنساني هو العروس، والاثنين معاً هما ابن ا الذي هو أيضاً ابن الإنسان. ومخدع الزوجية هو رحم العذراء مريم المكان الذي صار فيه رأس الكنيسة. **والذي منه وُلِدَ (أو خرج) العريس حسبما أخبرتنا الأسفار.**] (عظة 8: 4 في شرح يوحنا 2: 1 - 4)

الكنيسة واتحاد اللاهوت بالناسوت

كتب **القديس كيرلس** كلمات هامة عن الشركة في الطبيعة الإلهية، نحتاج لأن نقرأها بعناية:

[إذا وضع إنسان جمرة مشتعلة في كومة من القش لكي تسري النار التي من الجمرة، وتُمسك بالقش كله، فهذا نفسه يحدث لنا أيضاً فقد وضع الرب يسوع المسيح حياته وخبأها في جسده، وهو يُدْخلها كبذرة الخلود (عدم الموت) لكي تمسك بكياننا كله وتبيد الفساد كله الذي فينا.] (شرح إنجيل يوحنا 1: 533)

والقديس كيرلس يشرح الشركة بأسلوب رعائي جميل. لأن الرسول بولس يقول إن «حياتنا مستترة مع المسيح في الله» (كو 3: 3). ولذلك نحن لا نتأله (كما يظن البعض) مثل سريان التيار الكهربائي، **بل مثل اشتعال النار.** وكثيراً ما نطفئ هذا اللهيب «لا تُطفئوا الروح» (1تس 5: 19). كان القديس كيرلس هو أحد المدافعين الأقوياء عن اتحاد النار بالفحم (الجمرة أو الجذوة المشتعلة) (إش 6: 6 و7)[22] لكي يؤكد بها اتحاد اللاهوت بالناسوت، وهو أيضاً الذي يطلب في القداس الإلهي أن ينال هذه

(22) راجع شرح كتاب ***تجسد الابن الوحيد*** مجلد 75: 1377 ترجمة د. جورج حبيب بباوي.

الجمرة[23].

[وكما طهرت شَفتيّ عبدك إشعياء النبي إذ أخذ أحد السارافيم جمرة ... وقال له إن هذه قد لَمَسَت شفتيكَ فترفع آثامك وتطهر جميع خطاياك ... أَعطِنا هذه الجمرة الحقيقية المعطية الحياة للنفس والجسد والروح التي هي الجسد المقدس والدم الكريم الذي لمسيحك.]

(صلاة القسمة)

[طهر إنساننا الداخل كطُهر ابنك الوحيد هذا الذي نُضمِر أن نأخذه.]

(صلاة خضوع قبل تناول الأسرار)

هكـذا تسـري حـياة المسيح فينا من جسده الذي اشتعل بنار اللاهوت وحمـل إليـنا الحياة. يبدأ هذا الاشتعال والتجديد في سر المعمودية وسر المسحة وسر الإفخارستيا وهي أسرار الانضمام إلى جسد المسيح، وهنا لا نمـيز بين المسيح والكنيسة رغم أن الاثنين واحد، لأن الرب أعطى حياة كاملـة لنا، للعروس، للكنيسة، ولأن حياة المسيح كلها في جسده الكنيسة، تعطـي الكنيسـة "سـر التبني" و"سر المسحة" و"سر الإفخارستيا". هذه الأسـرار لا تنـبع مـن "سر الكهنوت"، بل "سر الكهنوت" **يخدمها. أما**

(23) كـان أحد القصور الواضح في بحث الاستاذ الأثيوبي (راجع ص 70)عن الجسـد المحيـي في كتاب القديس كيرلس الذي أشرنا إليه هو عدم الاستعانة بصلوات الليتورجـية، ولذلـك نرجو أن نعود إلى المصطلحات اللاهوتية القبطية في الليتورجية والتي بدأت متواضعة جدا في مجلة مرقس وتحتاج إلى مَنْ يواصل المسيرة.

مصدرها الواحد الذي تنبع منه <u>فهو الرب نفسه الذي يعطي الكل بواسطة خدامه</u>. لقد وُلِدَ الرب لكي يفك سلاسل الولادة الجسدانية، بالميلاد من فوق في المعمودية.

ومُسـحَ الرب لكي يعيد إلينا نعمة الروح القدس التي فقدناها بالخطية، وأُعطيت بشكل جزئي للأنبياء، ولكن كمال أو ملء عطية الروح القدس لم يُعـطَ إلا في العهد الجديد، وحتى تعبير "الملء والامتلاء" لم يُستخدم في العهد القديم بل "حلول لروح الرب".

ولأننا نتبع الآباء ولا نتجاسر أن نقدم رأياً خاصاً، نضع كلمات **القديس كيرلس** نبراساً للفاهمين:

[عندما خُلق الإنسان بقوة الصانع الإلهي وبفن قدرته الفائق، أعطاه ا جمالاً بشركة في الروح لأنه "نفخ في وجهه نسمة حياة". وبدون شركة الروح كان من المستحيل على الإنسان أن يكون جميلاً ومجيداً. وهو ما يُعطَى مع القداسة والالتصاق با ، لذلك السبب عينه عندما تأنس الابن الوحيد كانت الطبيعة الإنسانية عارية من النعمة الأُولى والقديمة، وكان الابن الوحيد مشتاقاً لأن يردها مرة ثانية إلى الرتبة الأُولى (راجع قسمة عيد القيامة: "**ورد آدم وبنيه إلى رتبته الأُولى"**)، فأعطى من نبع ملئه وقال: «اقبلوا الروح القدس» (يوحنا 20: 22)، وأعلن بمثال ظاهر وهو النفخة التي صدرت من ناسوته طبيعة الروح، ورد إلينا ما فقدناه في البدء.]

(حوار عن الثالوث 4: 53 راجع شرح إنجيل يوحنا 17: 18 و19، مجلد

2: 719، شرح نبوة يوئيل فقرة 355، مجلد 71: 375)

وراجـع أيضاً **القديس أثناسيوس** ضد الأريوسيين 1: 46، حيث يضع كلمـات على فم الرب يسوع نفسه: "أنا، كلمة الآب، سوف أُعطي الروح لنفسـي عـندما أصـبح إنساناً. وعندما أتأنس سوف أُقدس نفسي فيه (في الروح) **حتى في - أنا الحق - يتقدس الجميع**"(24)

وعن العهد القديم يقول **القديس كيرلس الإسكندري**:

[أُعطِيَتْ النعمة في حدود معينة بواسطة الروح القدس للأنبياء القديسين، لكن في مخلصنا المسيح حل فيه كل ملء اللاهوت حسب مسرة الآب (كو 2: 9). ولذلك أخذنا نحن من ملئه كما يؤكد يوحنا (يو 1: 16) ...] (شرح يوحنا 3: 2 مجلد 1: 25)

لقـد جاء الملء بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت، ولكننا لا نستطيع أن نقـف عند كلمة **"الاتحاد"،** لأن آباء القرنين الرابع والخامس في الكنيسة الجامعـة قـالوا بصوت واحد: **"ما عدا الذين وقعوا في الهرطقات"** أي الأريوسية - الأوطاخية - النسطورية. إنه بسبب الاتحاد حدثت شركة في الصفات والخواص **communion of idioms** ولقد لخصنا من قبل أهمية كلمة **idiom** "ما هو خاص"، ولذلك يقول **القديـس كيرلس** في المقالة الثالثة ضد نسطور:

---

(24) لاحـظ أن نفخة الروح القدس تُعطَى حسب الطقس بعد مسحة الميرون وفي الرسامات.

[جعل كل ما يخصه، يخص جسده ... وصفات الناسوت صارت صفات الكلمة، وصفات الكلمة صارت صفات الناسوت. ولذلك نحن نعتقد بمسيح واحد الابن والرب].

ثـم يقتبس هنا من أحد عظات نسطور: "ولكن لأن المخترع (نسطور) يقـول: «صـار مـثل إخوتـه فـي كل شيء» "و" أخذ خواص الأُخوة **brotherhood** الخاصـة بالبشـر وكأنـه قد تعمد أن لا يذكر كلمات الرب «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو 14: 9)."

فمـا هو رد القديس كيرلس على نسطور وعلى استخدامه الخاطئ لهذه الآيات؟

[الابن هو رسم جوهر الله الآب وهو قد أخذ خواص الأُخوة الخاصة بالبشر أي الجسد والنفس، فهو ليس مجرد إنسان مثلنا. لأننا لا نقول إن بولس أو برنابا وهم بشر مثلنا قد أخذوا خواص الأخوة **brotherhood** لأنهم بشر، والبشري بالطبيعة لا يأخذ شيئاً من خواص البشرية لأنها كلها تخصه ويولد بها، أما الكلمة المولود من الله الآب والذي لا ينتمي إلى رتبة البشر بسبب ألوهيته فقد تنازل وأخذ خواص الأُخوة وصار معنا ومثلنا حسب التسليم والإيمان غير المدنس (بالهرطقات)، ولأنه الله الكلمة وصورة الله الآب صار الأخ البكر وصار مثلنا في كل شيء.]

❖ فما هي النقط الأساسية في هذا الصراع الذي كان يدور على أرض الذكاء البشري الذي يلوي معاني الكلمات بعيداً عن المضمون الحقيقي

للكلمات؟

والجـواب **للقديس كيرلس الإسكندري** في مقالة **"تجسد الابن الوحيد"** والتـي تحـتاج إلـى إعادة نشر موثقة من كتب ومقالات القديس كيرلس لاسيما على النسطورية.

❖ **ماذا يقول القديس كيرلس في شرح تجسد الابن الوحيد:**

[إن خصوصية الابن الوحيد صارت صفة لناسوته (وحرفياً صارت "خاصاً" بالناسوت حسب الأصل اليوناني **‡dion tÁj ¢nqrwpÒthtoj** بسبب اتحاد الناسوت باللاهوت في المسيح حسب تدبير الكلمة، وأيضاً "خصوصية" أن يكون بين إخوة كثيرين كابن بكر، صارت هي أيضاً خاصة بالكلمة **‡dion toà LÒgou**]. (مجلد 75: عامود 256)

ولذلـك السـبب نفسـه، يصبح **جسد المسيح على المذبح هو جسده الخاص "الذي ينقل إلينا كل صلاح وخيرات ا الكلمة"** (شرح يوحنا 4: 2 مجلـد 1: 520). وعـندما نتكلم عن "الاستحالة"، فإننا لا يجب أن نقع أسـرى الفلسـفة اليونانـية، لأن تحول ناسوت الرب حدث بسبب اتحاده بلاهـوت الابـن الكلمـة، **"رب واحـد"**. والكلمـة اليونانـية **meteskeÚasen** تفـيد الـتحول. وأقـرب كلمـة إنجلـيزية هي **transformed** وهكذا يقول **القديس كيرلس** في شرح إنجيل يوحنا:

[أعطى المسيح جسده لحياة الكل وبواسطة جسده جعل الحياة تسكن **dwell** فينا. كيف؟ سوف أشرح على قدر استطاعتي. عندما حل كلمة ا المعطِي الحياة في الجسد، حول جسده إلى صلاحه الخاص،

أي الحياة. وبالاتحاد الذي يفوق الإدراك جعل جسده يعطي الحياة لأنه هو الحياة بالطبيعة، لذلك يُعطي جسد المسيح الحياة لكل مَنْ يشترك فيه، لأن جسده يبيد الموت في الذين خضعوا للموت، ويطرد الفساد، إذ هو نفسه يحمل بالكامل **çd<non ™n ˜autù** نفسه حياة الكلمة الذي أباد الفساد].

(الكتاب الرابع فصل 2 صفحة 520 – PG 73,565)

أسئلة معاصرة والرد عليها

السـؤال الأول: هل الكنيسة جسد المسيح، وإذا كانت هي جسد المسيح فهـل تسـجد الكنيسـة لنفسها عندما نقول في الليتورجية: نسجد لجسدك المقدس؟ وهل تأكل الكنيسة نفسها حين تأكل جسد المسيح؟

الجـواب: حقّا الكنيسة جسد المسيح حسب كلمات الرسول بولس. وهو نفسه الذي ذكر أن «الخبز الذي نكسره أليس هو **شركة جسد المسيح**» (1 كـو 10: 16). فيكون هذا السؤال موجهاً للتعليم الرسولي الذي نقلت عنه كتابات الأب متى المسكين؟

1 – وكذلك تعبير: "**الكنيسة جسد المسيح**" فهو حسب كلمات الرسول بولـس «وَأَما أَنْتُمْ **فَجَسَدُ الْمَسِيحِ** وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَاداً» (1كو12:27)، كذلك أيضاً تعبير"**من لحمه ومن عظامه**" «لأَننَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، **مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ**»(أف 5:30).

2 - **والكنيسة لا تسجد لنفسها**، لأنه كما أن الرجل والمرأة جسد واحد ولا تـتحول المرأة إلى رجل ولا الرجل إلى امرأة في سر الزيجة. كذلك وبالمقارنـة، يبقى المسيح "الرأس" ونحن "الأعضاء"، نأخذ حياته وجسده ودمه لنحيا به ومعه ونسجد له.

3 - **ولا تـأكل الكنيسـة نفسـها أو جسدها**، لأن هذا السؤال لا يقبل الاتحـاد بيـن اللاهـوت والناسوت بل يؤمن بتحول الناسوت إلى لاهوت

وذوبـان كل شيء في بحر اللاهوت، وهذه هرطقة أوطاخي. نحن نتناول جسد الرب كبشر منذ أكثر من 1900 سنة، وما نزال بشراً، أما هو (جسد المسـيح المحيي) فلم ينفد، ولن ينفد، لأنه جسد الحياة والمُعطِي الحياة لمن يتناول منه، وهو يطرد ويبيد الموت.

السـؤال الثانـي: هـل الاشـتراك في الطبيعة الإلهية يجعلنا معادلين ومساوين لابن ا ؟

الجـواب: نحـتاج لنشر النص اليوناني لشرح إنجيل يوحنا. فقد شرح **القديس كيرلس الإسكندري** الفرق بين شركتنا في طبيعة اللاهوت، وشركة الابن والآب بكلمات قاطعة في شرح يوحنا 14: 11 ويوحنا 9: 1.

شـركتنا في اللاهوت هي **نعمة** وإذاك هي **شركة** « **scetik** أي لا تُحـول جوهر حياتنا المخلوقة، لأن التحول يعني نهاية الشركة بيننا وبين ا . بـل هي التصاق بحياة الثالوث، التصاق المخلوق بحسب صورة ا والـذي بسبب النعمة ينال شركة من الخارج مع الخالق، أي لن يوجد في هـذا المخلوق - أي في كيانه - أي مماثلة لجوهر اللاهوت. هذه الشركة من الخارج حسب كلمات أبينا القديس كيرلس **™pitethdeumšnh** ليست طبيعة فينا بل نعمة تُضاف إلى كياننا المخلوق من العدم، وتبقى فينا ومعنا أساساً للشركة الأبدية في طبيعة ا .

مناجاة

إلى الأب متى المسكين

لا أريد أن أمدحكَ لأن مدحكَ من الله.

ولا أستطيع أن أُلخّص جهادك وأنتَ وحدك تقف أمام قوّات الظلمة بلا شريك لكَ من البشر سوى صلوات الذين يحبونكَ وهُم تلامسوا مع المسيح فيكَ ومع الحياة التي جئتَ تبشّر بها.

أنتَ شجرة مثمرة نلقي عليها الحجارة فتُعطي الثمار، ونحن لا نرمي الأشجار العاقرة بل تلك التي تعطي لنا ثمارها.

عندما أسمع كلمات النبوّة عن الرب يسوع أتذكّرك "تعييرات مُعيّريك وقعت علينا جميعاً" وعليكَ أنتَ قبلنا، لأنك أول الصف في لواء القديسين المجاهدين.

عشية تذكار استعلان صعود جسد السيدة العذراء
21 أغسطس 2003 م – 15 مسري 1719 ش